





المصنع السرّى

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ مصيدة العنكبوت ..

أوقف المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) سيارته ، أمام المدخل الرئيسى لڤيلّا أنيقة ، تتوسّط المزارع الخضراء ، وأسرع رجل يفتح باب السيارة ، فغادرها (ممدوح) وهو يرميه بابتسامة شبه ساخرة ؛ إذ بدا له من أسلوب الاستقبال ، أن الرجل يعامله كما لو كان لوردًا أو أميرًا ، على الرغم من معرفته أن صاحب هذه الڤيلّا واحد من ألدّ أعدائه .. ولكنه تجاهل ذلك ، وارتقى درجات السُّلَّم الرخامية ، حيث استقبله خادم ضخم ، عريض المنكبين ، كثّ الحاجبين ، وأشار إليه أن يتبعه إلى الداخل ..

وأشعل (ممدوح) سيجارته ، وهو يتبع الرجل ، وقد خامره شعور بأنه يخطو إلى فخّ ، أشبه بما ينصبه العنكبوت للذبابة ، قبل أن يمتصّ دماءها بلا رحمة ..

ولقد اعتاد (ممدوح) تلك الفخاخ العنكبوتية ، وتمرّس باقتناص العناكب داخل أوكارها ، خلال حياته الحافلة ..

وبينما كان يتبع الخادم الضخم ، كان هناك أربعة رجال وسط الحقول ، يزحفون مرتدين ثيابًا لها نفس لون الحشائش ،

وقد طلَوْا وجوههم باللّون ذاته ، حتى لا يكشف المراقب وجودهم ، وكان أحدهم يهمس :

— متى نبدأ الهجوم ؟

أجابه الثانى :

— عندما يضع المقدَّم (ممدوح) يده على (البرنس) ، ويرسل لنا إشارة البدء ، فلا أهميّة لرجال العصابة من دون ذلك المروّج الخطير .

همس الثالث :

— إننى أخشى أن ينجح فى الإفلات ، كما حدث فى المرّات السابقة ، فهو يمتلك القدرة على النهوض من كبواته ، كلما هاجمنا وكرًا من أوكاره ، وألقينا القبض على أعوانه .

أطلّ الأوّل برأسه ، ليختلس النظر إلى الفيلّا ، ثم عاد يختفى بين الأعشاب ، قائلًا :

— لا .. لست أظننا سنفشل هذه المرّة يا رفاق ، فلقد تولّى المقدَّم (ممدوح) هذه العملية منذ بدايتها ، وهو شهير بأنه لا يُخفق فى عملية أبدًا .

فى هذه اللحظة كان (ممدوح) يسير عَبْر رواق طويل ، له جدران زجاجية ، تطلّ على حوض سباحة ، راحت ثلاث فتيات

تمرحن حوله ، وقد وقف رجل ضخم آخر يراقب المكان ، ومدفعه الرشاش الحديث الطراز يتدلّى من كتفه ، ولقد أدهشه أنه على الرغم من إجراءات الأمن المعقّدة هذه ، إلّا أن أحدًا من رجال (البرنس) لم يحاول تفتيشه ؛ للتأكُّد من كونه يحمل سلاحًا أو لا ، وتساءل عمّا إذا كان ذلك نوعًا من الثقة المفرطة ، أم أنها محاولة من زعيمهم لكسب ثقته ، إلّا أنه قرّر أن يُجارى ذلك الشيطان فى لُعبته على أيّة حال ، حتى تحين ساعة الصفر ..

وفتح الخادم الضخم الباب الزُّجاجىّ المؤدّى إلى حوض السباحة ، وأشار إلى (ممدوح) أن يتقدّمه هذه المرّة ، حيث كان (البرنس) يسبح فى حوض السباحة بحركات استعراضية ، على حين انتبهت إحدى الفتيات الثلاث إلى (ممدوح) ، فغمزت زميلتيها ، ورحن يتطلّعن إليه فى مزيج من الإعجاب والفضول ، مما جعله يمنحهن ابتسامة جذّابة ، ويومئ إليهنّ برأسه ، قبل أن يحوّل وجهه إلى حوض السباحة ، ويتبادل النظرات مع (البرنس) ، الذى أطلّ برأسه فوق سطح الماء ، قبل أن يلوّح لـ (ممدوح) بكفّه ، وعيناه تحملان نظرة ملؤها المكر والدهاء ..

وتأمل (ممدوح) ذلك الوجه المربَّع ، ذا العينين المنتفختين واللّحية القصيرة ، التي اختلط شيبها بسوادها ، والشعر المجعّد القصير ، على حين أشار (البرنس) إلى خادمه ، وهو يغادر حوض السباحة ، فأسرع هذا الأخير يحيط سيّده بـ (روب استحمام قصير ، قبل أن يتجه (البرنس) إلى (ممدوح) ، ويمدّ يده لمصافحته ، ويهتف فى حرارة مفتعلة ، وهو يشدُّ على يده :

— كم أنا سعيد لحضورك يا عزيزى !!

صافحه (ممدوح) وهو يلقى نظرة سريعة على الحارس المسلّح ، الذى يَرْمُقُه فى بغض وحَذَر ، وهو يقف إلى جوار مائدة الفتيات الثلاث ، وقال :

— إنها للفتة طيّبة ، أن توجّه لى دعوة لزيارة فيلتك .

قال (البرنس) فى لهجة واضحة السخرية :

— ولكنها ليست أوّل مرّة تزورها .. أليس كذلك ؟.. أعنى أنك قد تسلّلت إليها ذات يوم خلسة ، عندما كنت أنا خارج البلاد ، وأردت أن تبحث عن بعض الأشياء فيها ، لولا يقظة رجالى ، التى حالت دون ذلك ، وجعلتك تلوذ بالفرار .. وكان هذا من حسن حظك ، فلست أدرى ماذا كان من الممكن أن يحدث لك ، لو أمسكوا بك ، وأنت تعلم طبعًا

أننى أكره أن أسبّب لك مكروهًا ، على الرغم من ضيقى لاقتحامك فيلتى دون إذن منّى .

أجابه (ممدوح) بنفس اللهجة الساخرة :

— يؤسفنى فى الواقع أن ضايقتك بتلك الزيارة ، ولكننى لو كنت أعلم أنك ستسمح بها ، ما تجشّمت عناء التسلّل إليها ، وما ذاق رجالك مرارة الفشل فى مطاردتى .

تقلّصت ملامح (البرنس) ، على نحو يشفّ عن غضبه ، قبل أن يسيطر على تعبيراته ، قائلًا :

— ولكننى أسمح لك بزيارتى هذه المرّة .. يمكنك أن تعتبر نفسك فى منزلك .

أجابه (ممدوح) فى استخفاف :

— شكرًا لك .

أحاط (البرنس) كتفه بساعده ، وسار معه إلى جوار حافة حوض السباحة ، وهو يهمس :

— يبدو أنك تمتلك تأثيرًا قويًا على الفتيات ، ففتياتى الثلاث يرمقنك فى إعجاب ، منذ وطئت قدماك المكان .

أجابه (ممدوح) فى سخرية :

— إنك تخجلنى بإطراء لا أستحقه .

لكزه (البرنس) فى كتفه ، قائلًا :

ـ لا تتظاهر بالتواضع ، فأنا أعلم أنك تملك العديد من المواهب ، منها السباحة .. فلمَ لا تكشف للفتيات عن موهبتك فيها .

قال (ممدوح) فى مزيج من الدهشة والسخرية :

ـ أتريد منّى أن أسبح الآن ؟

أجابه فى هدوء :

ـ ولمَ لا ؟.. لقد رأيتك تسبح كبطل أوليمبىّ فى النادى ، وهاهو ذا حوض السباحة أمامك ، والمعجبات حولك .. اعتبر المنزل منزلك ، وجدّد نشاطك .

تطلّع (ممدوح) إلى حوض السباحة برهة ، ثم قال :

ـ حسنًا .. سألبّى دعوتك .. ليس من أجل الفتيات ، ولكن لأننى لا أستطيع مقاومة إغراء السباحة فى حوض رائع كهذا ، ومن حسن الحظ أننى أرتدى ثوب الاستحمام دوْمًا .

أسرع ينزع ملابسه ، واتجه إلى حافّة الحوض ، وثنى ركبتيه ، وهمّ بالقفز ، لولا أن صرخت إحدى الفتيات فى ذعر :

ـ لا .. لا تقفز .

وبسرعة اعتدل (ممدوح) ، وانتقلت عيناه إلى ذلك الخادم ، الذى قاده إلى حوض السباحة ، وهو يقف على بعد متر واحد من الحوض ، وقد انتهى من إفراغ محتويات زجاجة صغيرة فى مياهه ، فى نفس الوقت الذى هوَى فيه (البرنس) على وجه الفتاة التى أطلقت الصرخة ، بصفعة هائلة ، ورفع الحارس المسلّح فُوّهة مدفعه الآلىّ نحو (ممدوح) ..

وفى خفّة الفهد ، قفز (ممدوح) إلى الخلف ، وقفزت يده إلى جيب سرواله الملقى على العُشب المحيط بحوض الاستحمام ، وضغطت سبّابته زِناده ، دون أن يخرجه من السروال ، وقبل أن يضغط غريمه زِناد مدفعه الآلىّ ..

كان سباقًا بين غريمين ..

سباقًا تتوقّف عليه حياة أو موت أحدهما ..

وانطلقت رصاصة (ممدوح) تخترق سرواله ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها دوِىّ رصاصات خصمه ، وارتفع أزيزها فوق رأسه هو ، قبل أن تستقر رصاصة (ممدوح) فى صدره ، وتحسم القتال لصالحه ، وسط صرخات الفتيات الثلاث ..

وهتف (البرنس) فى غضب :

ـــ لا تحسب أنك قد نجوت بهذا أيها المقدّم ، فلن تغادر هذا المكان حيًّا أبدًا .

ولم يكن (ممدوح) بحاجة إلى هذا الإنذار ؛ فقد كان يعلم جيّدًا أن الخطر ما زال يُحْدِقُ به من كل جانب ، خاصة وقد لمح ظل الخادم الضخم فوق العشب ، وهو يأتى من خلفه ..

واستدار (ممدوح) فى حركة حادّة ، ليجد غريمه أمامه ، وقد رفع يده عاليًا ، وفى قبضته خنجر ، التمع نصله تحت أشعة الشمس ، وقبل أن يتغلّب على أثر المفاجأة ، هوَى الخنجر على ساعده ، فأطلق صرخة ألم ، وسقط مسدّسه من يده ، فركله الخادم الضخم فى وجهه ، وألقاه على ظهره فوق العشب ..

وراحت الدماء تنزف من جرح (ممدوح) فى غزارة ، وهو يتطلّع إلى غريمه ، الذى تقدّم نحوه حاملًا خنجره ، ومن عينيه تطلّ نظرة وحشيّة ، وضحكات (البرنس) تتعالى والخطر يتضاعف ..

ولمح (ممدوح) ، على قيد خطوات منه ، عصا معدنية طويلة ، تنتهى بقطعة مستطيلة من المطّاط ، من ذلك النوع المستخدم فى التنظيف ، وشعر أنها جاءته كهبة من السماء ، فزحف متراجعًا بظهره ، واختطف العصا بيُسراه غير

المصابة ، وهوَى بها على ساق الرجل ، الذى أطلق صرخة ألم ، وهو يتهاوَى على ركبتيه ، دون أن يتخلّى عن خنجره ، ولكن (ممدوح) هبّ واقفًا ، وكال له لكمة جعلته يترنّح فى شدة ، قبل أن يعاجله (ممدوح) بثانية ، وثالثة ، حتى لم يجد الرجل مفرًّا أمامه سوى الفرار ، بعد أن سقط خنجره من يده ، وكاد يفقد وعيه ، ولكن لسوء حظّه ، كانت محاولته للفرار بمثابة النهاية الدرامية ، لحياته الحافلة بالإجرام ..

لقد اختلّ توازنه ، عند حافة حوض السباحة ، فانطلقت من حنجرته صرخة مُدَوِّيَة ، ثم سقط فى الماء ..

وكان مشهدًا رهيبًا ..

لقد فار الماء ، وراح يغلى وكأنما حرارته قد ارتفعت بغتة إلى الذّروة ، وظهر وجه الرجل فوق السطح دمويًّا ، ملتهبًا ، وقد أزالت المادة الكيميائية ، التى وضعها فى الماء جلده كله ، وعاد يغوص مرّة أخرى جثة هامدة ..

وانتابت الهستيريا (البرنس) ، وراح يصرخ مناديًا أعوانه ، ولكن (ممدوح) ، الذى لم يفقد لياقته بعد ، على الرغم من جرحه ، قفز يلتقط مسدّسه من فوق العشب ، ويُطلق منه رصاصة بين قدمى (البرنس) ، هاتفًا :

— خطوة زائدة وتستقر رصاصتى القادمة فى رأسك ، ولقد رأيت دقَّة إصابتى الهدف ، فلا تحاول المراوغة .

لم يجد (البرنس) أمامه سوى الانصياع لأوامر (ممدوح) ، فتقدَّم نحوه ، وهو يختلس النظر إلى المدخل ، آملًا أن يصل رجاله ، وفى نفس اللحظة التى اقتحم فيها ثلاثة رجال مسلحين المكان ، كان (ممدوح) قد جذب (البرنس) من ذراعه ، ليلصق فوَّهة مسدَّسه برأسه ، وهو يهتف :

— ألقوا أسلحتكم ، وإلا فجَّرت رأسه .

تردَّد الرجال فى توتُّر ، ولكن (ممدوح) حسم تردُّدهم ، وهو يضغط فوَّهة مسدَّسه برأس (البرنس) ، صائحًا :

— مُرْهُم بإلقاء أسلحتهم ، قبل أن ينفَدَ صبرى .

هتف (البرنس) فى صوت مرتعد :

— نفِّذوا ما يأمركم به .

تعالَى صوت جلَبة ، وطلقات ناريَّة فى الخارج ، فقال (ممدوح) :

— بالمناسبة ، لقد آتت رصاصتى مفعولها ، فلقد كانت الإشارة المتفق عليها لبدء العملية ، والرصاصات التى تسمعها الآن ، تعنى أنه هناك أربعة من المحترفين ، من إدارة العمليات

الخاصَّة ، يقتحمون الآن فيلتك ، التى تستخدمها كمخزن للهيروين ، وسيتبعهم عشرات آخرون ، ليضعوا جميعًا نهاية لأسطورتك .

ثم التفت إلى الفتيات الثلاث ، اللاتى انكمشن فى ركن قصىّ ، وقال :

— من منكن أطلقت صرخة التحذير ؟

أشارت إحداهن إلى صدرها ، فابتسم قائلًا :

— أشكرك .. أمَّا الآن ، فأنا أحتاج إلى خيط وإبرة ، لحياكة ذلك الثقب فى جيب سروالى ، فلقد انتهت هذه العملية ، ووقع العنكبوت فى فخه .

* * *



٢ ــ المصنع السِّرِّىّ ..

انطلق ذلك الصفير المرتفع ، داخل مجموعة مصانع (جولويس) للمبيدات الحشرية ، معلنًا انتهاء نوبة العمل الثانية ، فى تلك المنطقة الصناعية ، فى (أمريكا اللاتينية) ، وبدأ العمال يغادرون المصانع تباعًا ، بعد يوم عمل شاق ، وهم يتمازحون ويتجادلون ، فيما عدا اثنين ، بدا أحدهما خائفًا ، وهو يقول لرفيقه :

ــ دَعْنا نعود إلى منازلنا يا (رءُول) .. هذا أفضل .

أجابه زميله فى حماس :

ــ لماذا تخاف ؟.. إننا سنُلقى نظرة صغيرة على ذلك المصنع فحسب .

غمغم متوترًا :

ــ ولكنك تعلم أن الأوامر تمنع الاقتراب منه بالذات ، وهم يحيطونه بإجراءات أمنيَّة معقَّدة ، ويهدِّدون كل من يفكِّر فى الاقتراب منه .

ازداد حماس (رءُول) ، وهو يقول :

ــ وهذا ما يثير فضولى ، فالغموض والسِّرِّيَّة يجعلاننى أرتاب فى طبيعة ما يحدث فيه .. إنه يقع ضمن نطاق مصانع سنيور (جولويس) ، فلماذا يحظرون الاقتراب منه بالذات ؟.. ولماذا يمنعوننا من الاختلاط بعمَّاله ؟.. لماذا كل هذه السِّرِّية ، وإجراءات الأمن المكثَّفة المحيطة به ؟

هتف زميله :

ــ ما شأننا نحن ؟

أجابه منفعلاً :

ــ ربما جنينا الكثير من المعرفة ، لو علمنا ما يخفونه .

قال فى توتُّر :

ــ ولكن كيف سيمكننا الدخول إليه ؟

قال (رءُول) فى حماس :

ــ دَعْ هذا لى ، لقد دَعَوْت أحد رجال أمن ذلك المصنع إلى إحدى الحانات ، منذ يومين ، ونجحت بمعاونة زميل لى فى دفعه إلى الإفراط فى الشراب ، ثم استولينا على مفتاح البوابة الغربية للمصنع ، وصنعنا منه نسخة مقلدة ، وهى التى ستعاوننا على الدخول إلى المصنع .

غمغم زميله :

ــ ما زال الأمر ينطوى على مخاطرة كبرى ، فحتى لو نجحنا فى اجتياز البوّابة الغربية ، ووصلنا إلى المصنع ، فلن يسمحوا لنا بدخوله فى سهولة .. فهناك أجهزة إنذار متقدّمة تحيط بالمصنع ، وسيكون هناك عدد مخيف من رجال الأمن حتمًا .. ومن الأفضل إذن أن نتراجع عن تلك الفكرة الجنونية ، ونعود إلى منازلنا .

هتف (رءُول) :

ــ اذهب أنت إذن ، ما دمت خائفًا إلى هذا الحد ، أمّا أنا فلن أتراجع .

بدا زميله قلقًا مترددًا ، وهو يتطلّع إليه ، قبل أن يقول :

ــ حسنًا .. سأنتظرك فقط بالقُرب من البوّابة الغربية ، على أن تذهب وحدك إلى المصنع لاستطلاع الأمر ، وتعود لتخبرنى بما رأيته هناك .

قال (رءُول) :

ــ حسنًا .. اتفقنا .. هيّا بنا .

ولكن زميله استوقفه قائلًا :

ــ سأنتظرك لساعة واحدة ، وبعدها سأرحل ، مهما كانت النتائج .

هتف (رءُول) ، وقد بلغ فضوله مبلغه :

ــ لا بأس .. دعْنا نذهب .

واستخدم مفتاحه المقلّد لفتح البوّابة الغربية ، وانتظره زميله بالقُرب منها ، فى حين تابع هو طريقه عَبْرَ ساحة المصنع السّرّىّ ، إلى مدخله ..

ومضى الوقت بطيئًا بالنسبة إلى زميله ، وهو ينتظره عند البوّابة ، وقبل أن تنتهى الساعة ، فوجئ بـ (رءُول) يُهَرْول نحو البوابة ، وأمارات الذُّعر تملأ ملامحه ، وهو يهتف فى صوت مختنق :

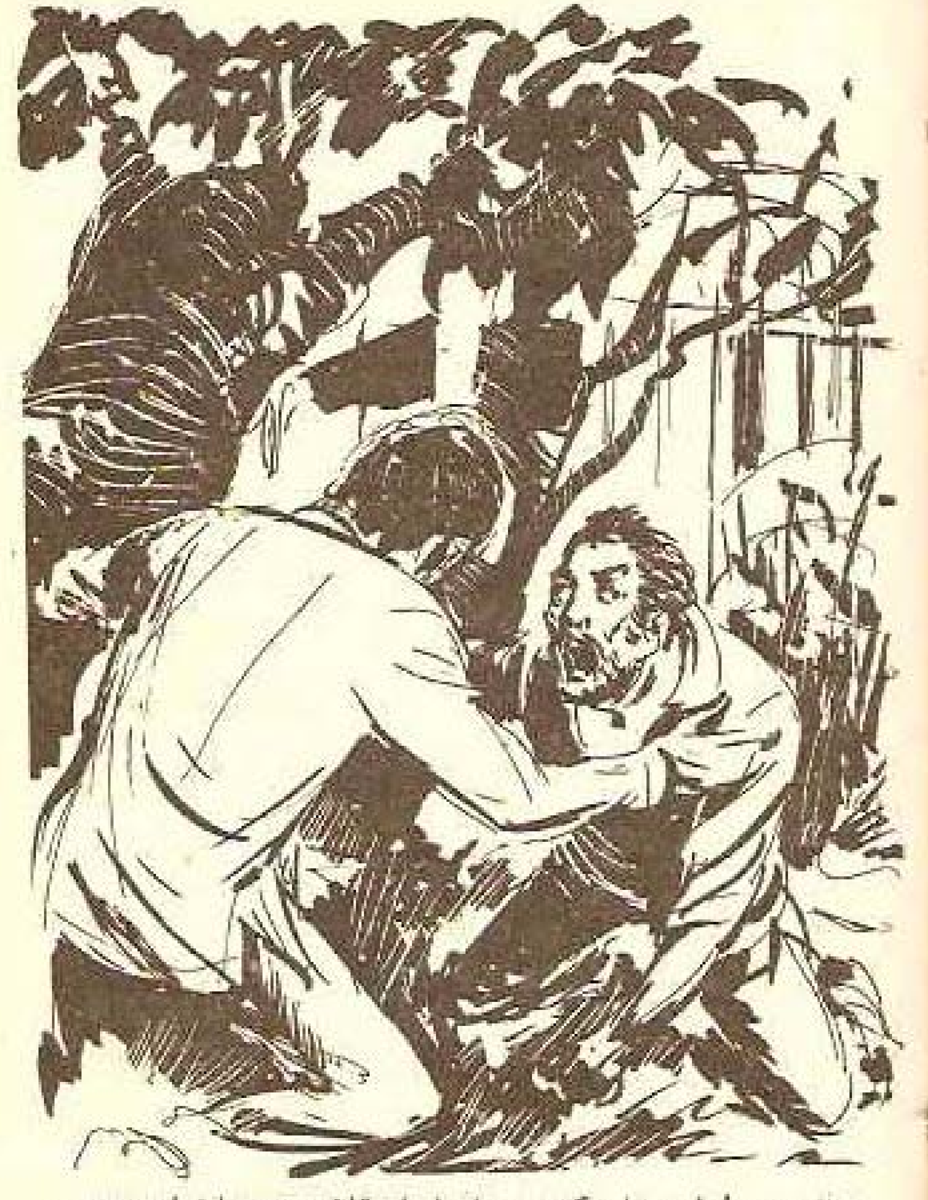
ــ (دومينو) .. افتح البوّابة .. افتحها بسرعة ، ودعْنا نفرُّ من هنا .

هتف (دومينو) ، وقد هاله احتقان وجه زميله الشديد :

ــ ماذا حدث ؟

هتف (رءُول) فى ألم واضح :

ــ لا .. لا وقت للاستفسارات .. لقد .. لقد بذلت جهدًا خارقًا للإفلات منهم ، بعد أن أطلقوا علىّ هذا الشىء الرهيب ، وسيلحقون بى فى سرعة ، مالم نسارع بمغادرة المكان .


تهاوى (رءُول) على ركبتيه ، وازداد احتقان وجهه واحمرار عينيه ..

أسرع (دومينو) بفتح البوّابة ، وانطلق يفرّ مع زميله ، بعد أن أغلقها خلفهما ، وهتف وهما يجتازان الطريق المؤدّى إلى الغابات المحيطة بالمنطقة الصناعية :

ـــ لماذا جئت بنا إلى هنا ؟ .. لماذا لم نستقل السيَّارة ؟

صاح (رءُول) :

ـــ لأنهم يجدُّون فى أثرنا الآن ، ولو اخترقنا الطريق البرىّ فسيلحقون بنا حتمًا ، وتكون نهايتنا .

هتف (دومينو) ، وقد تسلّل إلى قلبه خوف خفىّ :

ـــ فلنتابع الركض إذن ، فالطريق إلى المدينة ـــ عَبْرَ الغابات ـــ يستغرق وقتًا طويلًا .

ولكن (رءُول) توقّف فى إعياء ، وراح يترنّح ، وصوته يختنق ، وهو يلهث هاتفًا :

ـــ لا .. لا يمكننى أن أحرّك قدمىّ .

ارتسم الفزع على وجه (دومينو) ، وهو يحدّق فى زميله ، هاتفًا :

ـــ (رءُول) ! .. ما هذه الدماء التى تلطّخ قميصك ؟ .. إنك تنزف فى شدة .

تهاوى (رءُول) على ركبتيه ، وازداد احتقان وجهه واحمرار عينيه ، وهو يهتف :

— لا فائدة .. لا فائدة .. إننى أموت .. أنا جلبت لنفسى هذا .. ولكن يجب أن يعلم الجميع الحقيقة .. يجب أن يعلموا ما يدور داخل ذلك المصنع .

وأشار إلى صديقه ، مستطردًا فى همس متحشرج :

— لقد وعدتك أن تستفيد من الاطلاع على السّر ، الذى يخفونه هناك ، ولكن عِدْنى أوّلًا بأن تدفننى على نحو لائق ، وألا تخبر أحدًا ما سأبلغك إيّاه ، فيما عدا شقيقى الأكبر (سانشيز) ، والسفارة المصرية فى (جولايا) .

هتف (دومينو) ، وهو يلهث تعبًا وانفعالًا :

— أعدك بذلك .

قال (رءُول) ، وصوته يزداد تحشرجًا وألمًا :

— حسنًا .. اقترب بأذنك من فمى ، فلم أعد قادرًا على رفع صوتى .

اقترب منه (دومينو) ، فهمس له بعدة كلمات ، ثم راحت رأسه تتمايل فى شدة ، وأخذ يتقيأ الدماء ، أمام عينى (دومينو) الملعتين ، قبل أن تتفجّر الدماء من عينيه وفمه ووجهه ، وكل أجزاء جسده ..

ومع صرخات (دومينو) ، سقط (رءُول) جثة هامدة مشوّهة ..

وبدأت أغرب العمليات ..

* * *

توقّف المِصْعَد أمام ذلك الرّواق الطويل ، المؤدّى إلى حجرة المقدَم (ممدوح عبد الوهاب) ، وغادره هذا الأخير ، متجهًا إلى مكتبه ، فى إدارة العمليات الخاصة .. ولكنه لم يكد يخطو عدة خطوات ، حتى التقى بصديقه الرائد (رفعت) ، آتيا فى اتجاه المصعد ، فابتسم قائلًا :

— أهلًا (رفعت) .. لقد افتقدتك كثيرًا ، فلم نلتقِ منذ ثلاثة أسابيع على الأقل .

ابتسم (رفعت) بدوره ، وقال مداعبًا :

— هذا ما يفرضه عملنا ، فلقد كنت مشغولًا بعملية (تورنتو) ، فى الوقت الذى كنت أنت فيه منهمكًا فى عملية (البرنس) .. وبالمناسبة ، سمعت أنه أراد أن يشويَك حيًّا .

ضحك (ممدوح) ، وهو يقول :

— نعم .. لقد بدا له أننى لم أستحم منذ زمن ، فأعدّ لى حمامًا ساخنًا ، ولكنه كان من ذلك النوع الذى يزيل عنك

كل شيء ، حتى جلدك ولحمك ، فلا يُبقى إلا عظامك .
أطلق (رفعت) ضحكة عالية ، وقال :
ــ لا ريب أنه يموت غيظًا وكمدًا الآن ، بعد أن حرمته متعته ، وتسبَّبت فى كشف مخزن مخدراته .
ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :
ــ هل كنت فى طريقك إلى المِصْعَد ؟
رفعت :
ــ نعم .. سأصعد إلى مركز الوثائق والمعلومات ، للحصول على بعض البيانات .
ممدوح :
ــ حسنًا .. بلِّغ تحياتى إلى الزملاء هناك ، فسأذهب إلى مكتبى ، لإعداد بعض التقارير .
ولكن (رفعت) ابتسم ، وهو يتأبَّط ذراعه ، قائلًا :
ــ لا .. لن تذهب إلى مكتبك .. ستصعد معى ، فاللواء (مراد) يلحّ فى طلبك منذ الصباح ، وستصعد الآن إلى حجرة مكتبه .
ممدوح :
ــ لماذا ؟

رفعت :
ــ لست أدرى ، ولكن يبدو أنها مهمَّة جديدة .
وابتسم مستطردًا فى تعاطف :
ــ هل يضايقك هذا ؟
هزَّ (ممدوح) رأسه نفيًا ، وقال وهو يسير معه إلى المِصْعَد :
ــ على العكس .. ليت استنتاجك يكون صحيحًا ، فلقد شعرت بالاكتئاب هذا الصباح ، وأنا أعود إلى الأعمال المكتبية الروتينية ، وأكثر مايسعدنى هو العمل ، فمرحبًا ومرحبًا به .

* * *

نزع اللواء (مراد) منظاره الطِّبِّيّ عن عينيه ، وراح يفركهما فى إرهاق ، وهو يدعو (ممدوح) إلى الجلوس ، قبل أن يعيد منظاره إلى أنفه ، قائلًا :
ــ هذه بعض متاعب التقدُّم فى العمر .. لقد أصبح المنظار ضروريًا لمطالعته الأوراق والتقارير ، التى تعرض علىَّ ، بعد أن كنت أمهر رجال الإدارة فى إصابة الهدف :
غمغم (ممدوح) مخففًا :
ــ ولكنك تدير الآن أنجح إدارة أمنيَّة فى (مصر) .. إن لم يكن فى العالَم .

اللواء (مراد) :

ـــ أشكرك يا (ممدوح) ، وإن كان الفضل الأوَّل فى هذا النجاح لك ولزملائك .. فبدونكم لم تكن إدارة العمليات الخاصة لتنال كل هذه السُّمعة الطيِّبة ، فى كل الأوساط الأمنيَّة فى العالَم .. وبالمناسبة ، لقد أرسل إليك وزير الداخلية تهنئة خاصَّة ، وتقديرًا رفيعًا لنجاحك فى إلقاء القبض على (البرنس) وأعوانه .. لقد أرهقنا هذا الرجل طويلًا بالفعل .

دفع الفضول (ممدوح) إلى تعجُّل معرفة سرّ اللقاء ، فقال :

ـــ سيِّدى .. هل تم ترشيحى لمهمَّة جديدة ؟

صمت اللواء (مراد) برهة ، وهو يتطلَّع إلى (ممدوح) ، قبل أن يقول :

ـــ نعم .. مهمَّة لا يصلح لها سواك ، وهذا ما جعلنى أتغاضى عن فترة الراحة المقرَّرة بين كل عملية وأخرى .

ممدوح :

ـــ ثِق أننى مستعد دَوْمًا لأية عملية يا سيِّدى .

أومأ اللواء (مراد) برأسه ، دلالة على تقديره لذلك ، وثقته به ، ثم التفت إلى الخريطة المجاورة لمكتبه ، ووضع إصبعه

فوق نقطة فى أمريكا اللاتينية ، وهو يقول فى صوت يشفُّ عن خطورة الأمر :

ـــ ستكون مهمَّتك التالية هنا .. فى (جولايا) .

ثم سأله بغتة :

ـــ كيف أراد (البرنس) قتلك فى فيلته ؟

أجابه (ممدوح) فى حَيْرة من السؤال :

ـــ لقد استخدم مادة كيميائية حارقة ، تتفاعل مع الماء ، مكوِّنة حامضًا قويًّا ، قادرًا على إذابة الجسد البشرىّ ، ولقد كان أمرًا رهيبًا .

اعتدل اللواء (مراد) ، وبدت الجدِّية على وجهه واضحة ، وهو يقول فى حزم :

ـــ يبدو أنك ستضطر إلى مواجهة هذا الأمر مرَّة أخرى يا (ممدوح) .. وهذه هى مهمتك .. مهمة وسط الجحيم ..

* * *



٣ ـ الهدف المنشود ..

ران الصمت لحظة ، داخل حجرة اللواء (مراد) ، و (ممدوح) يتطلع إليه فى اهتمام وفضول ، قبل أن يقول اللواء :

ـ مهمتك هذه المرة تتعلق بالأسلحة الكيميائية .. فهناك فى إحدى المناطق النائية فى (جولايا) ، مصانع (جولويس) للمبيدات الحشرية والأسمدة العضوية ، و (جولويس) هذا ملياردير كولومبىّ الجنسية ، (أسترتانى) الأصل ، لا يزال يدين لـ (أسترتان) بالولاء .. وتؤكد معلوماتنا أن مصانعه ما هى إلا غطاء لإخفاء مصنع سِرّى ، محظور على عماله الاقتراب منه ، أو من أحد العاملين فيه .. وهذا المصنع السِّرّى مخصص لإنتاج الأسلحة الكيميائية المحظورة دوليًا ، والتى يتم تصديرها سرًا إلى (أسترتان) .

(ممدوح) :

ـ وكيف توصل رجالنا إلى معرفة هذا ؟

اللواء (مراد) :

ـ لقد حدث ذلك بمحض الصُّدفة ، إذ دفع الفضول اثنين من عمال مصانع المبيدات ، إلى استكشاف ذلك المصنع الغامض ، وتمكن أحدهما من التسلل إلى المصنع بالفعل ، حيث رأى عددًا من الفنيين يُعدون قنابل الغاز ، والصواريخ الإليكترونية البكتريولوجية ، داخل أحد عنابر المصنع ، ورأى كذلك عددًا من الصناديق المعدة للشحن إلى (أسترتان) .. وعندما كُشِفَ أمره ، حاول الفرار ، ولكن أحد الحرّاس أطلق عليه محتويات نوع من الغازات المسيلة للدم ، من مضخة كان يحملها خلف ظهره ، فتحطمت أوعيته الدموية ، حتى قضى نحبه ، ولكنه أفضى إلى زميله بالسرّ ، قبل أن يموت .. ولقد ذهب زميله هذا إلى سفارتنا فى (جولايا) ، وطلب ثمنًا لإطلاعنا على السرّ ، لثقته فى أهمية ذلك لنا ، باعتبار أن (أسترتان) هى أكثر الدول المعادية لنا ، ووجود سلاح رهيب كهذا فى حوزتها ، أمر يهدد أمننا القومى .. ولقد تصوّر رجال السفارة فى البداية أن الرجل نصّاب ، يسعى للحصول على فائدة مادية مقابل قصة مختلقة ، ولكن المعلومات التى قدمها لنا (سانشيز) ، شقيق العامل القتيل ، والذى يعدُّ واحدًا من أكبر رجال المقاومة السرّية فى (جولايا) ، بالإضافة إلى المعلومات التى جمعها رجال أمن

السفارة ، أكدت وجود عدد كبير من شحنات مبيدات (جولويس) ، يتمّ تصديرها إلى (أسترتان) ، دون أن تخضع إلى التفتيش الجمركى ، أو الرقابة الفنية ، بالإضافة إلى أن عددًا من مسئولى حكومة (جولايا) ذاتها يرعون هذه الصفقات المريبة ، ويحيطونها بأكبر قدر من السّرّية والرعاية ، مما جعل معلومات الرجل تبدو لنا صحيحة تمامًا .

ممدوح :

ـــ ولكن هذا يَعْنى أن الأمر بالغ الخطورة .

اللواء (مراد) :

ـــ لقد وقَّعت (أسترتان) ، و (مصر)،وعدد من دول العالم الكبرى ، اتفاقية دولية بشأن حظر تصنيع أو استخدام الأسلحة الكيميائية ، أو البكتريولوجية ، وأى إخلال بهذه الاتفاقية يَعْنى توقيع عقوبات وجزاءات رادعة ، على الدولة المخلّة بها .. وجميع الدول الموقّعة على الاتفاقية تخضع لرقابة وتفتيشات دوريّة ، عن طريق لجنة تابعة للأمم المتحدة .. ولكن يبدو أن (أسترتان) قد قرَّرت التحايل على ذلك ، والاستمرار فى تصنيع وتكديس ترسانة كاملة من الأسلحة الكيميائية ، داخل مخازن سرِّية فى أرضها ، أو فى أماكن

بعيدة ، مثل (أمريكا اللاتينية) ، التى لم تلتزم بالتوقيع على الاتفاقية الدولية ، ثم يتم تصديرها إلى (أسترتان) ، تحت غطاء من كَوْنها مبيدات حشرية أو أسمدة عضوية .

ممدوح :

ـــ وهل المطلوب هو تدمير مصنع الأسلحة الكيميائية ؟

اللواء (مراد) :

ـــ لا .. إن تدمير المصنع ليس هو الهدف المنشود ، إذ يمكن عندئذ إنشاء غيره فى موقع آخر ، والاستمرار فى تنفيذ المخطَّط ، وإنما الهدف الحقيقى هو كشف العملية بأسرها للمجتمع الدولىّ ، بحيث تتعرَّض (أسترتان) للعقوبات المقرَّرة بالاتفاقية .

ممدوح :

ـــ فهمت .. إننا ننشد فضيحة دولية لـ (أسترتان) ، وكشف الستار عن وجهها العدوانىّ الإرهابىّ .

اللواء (مراد) :

ـــ نعم .. ولكى يتحقَّق لنا ذلك ، لابدَّ أن يتوافر لنا الدليل على صحة مايحدث فى (جولايا) ، مع العلم بأنه من غير المجْدِى أن نبلغ الحكومة (الجولاية) بذلك ، حيث أن

معظمهم متورِّط فى هذا الأمر .. وقد يؤدى إبلاغنا لهم إلى التغطية على العملية نفسها ، والتخلُّص من المصنع ومحتوياته ..
كما أن إبلاغ الأمر إلى الأمم المتحدة لن يحقِّق الهدف المنشود ؛ إذ أنه مع وجود عدد من المسئولين المتورِّطين فى الأمر ، سيتم منع أيَّة بعثة تفتيشية من العمل ، خاصَّة وأن (جولايا) لم توقِّع على الاتفاقية ، ويمكنها أن تعتبر التفتيش نوعًا من التدخُّل فى سيادتها على أرضها ، وأيَّة إثارة صحفية ستؤدى إلى النتيجة نفسها ، ما لم يتمّ تصوير المصنع من الداخل ، والمواد التى يتمّ تصنيعها فيه ، والصناديق المخصَّصة لشحن تلك المواد والأسلحة إلى (أسترتان) .. كما أنه من المهم أن يتم تصوير فريق الفنيِّين الأسترتانيين ، العاملين فى المصنع ، وجميع المستندات والمعلومات الوافية عنهم ، وعندما نحصل على كل الصُّوَر والمستندات ، يمكننا أن نطلع الأمم المتحدة والصحافة العالمية على الأمر ، ونكشف حقيقة الوجه العدوانىّ الخفىّ لـ (أسترتان) ، وبعدها نترك للمجتمع الدولى مهمَّة تقرير العقاب اللازم لها .

هبَّ (ممدوح) من مقعده ، قائلًا فى حماس :

ـــ سأحصل على الصُّوَر والمستندات المطلوبة يا سيِّدى .

اللواء (مراد) :

ـــ لن يكون ذلك سهلًا قطُّ ، فستنتظرك عشرات المخاطر .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ المخاطرة مهنتى يا سيِّدى .

اللواء (مراد) :

ـــ استعدّ إذن للسفر غدًا ، وسنزوِّدك بالمعلومات والمعدَّات اللازمة .

شدَّ (ممدوح) قامته ، قائلًا :

ـــ سأكون مستعدًّا فجر الغد يا سيادة اللواء .

همَّ (ممدوح) بالانصراف ، ولكن اللواء (مراد) استوقفه قائلًا :

ـــ ستلتقى بـ (سانشيز) ، شقيق العامل القتيل ، فى (جولايا) .. إنه يملك نفوذًا خاصًّا ، ووسائل جيِّدة لمعاونتك وجمع المعلومات ، كما لديه الحافز للانتقام ممن قتلوا شقيقه .. ونحن نطمئن إليه .. هيَّا يا (ممدوح) .. اذهب .. اذهب على بركة الله ..

وبدأت المهمة ..

* * *

٤ ـ الجلَّاد ..

أشارت عقارب الساعة إلى منتصف الليل تمامًا ، عندما غادر (دومينو) إحدى الحانات ، فى طريقه إلى منزله ، فاستوقفه رجل يجلس داخل سيارة ، تحتلّ مدخل أحد الأزقة الضيّقة ، قائلًا :

ـ (دومينو) .. تعالَ .. سنتحدَّث معًا .

اقترب منه (دومينو) ، وحدَّق فى وجهه لحظات ، قبل أن يقول فى حَيْرة :

ـ ولكن من أنت ؟.. إننى أجهلك .

ابتسم الرجل ، قائلًا :

ـ سنتعارف فيما بعد ، اركب السيارة أوَّلًا .

وقبل أن يجادله (دومينو) ، امتدَّت يد قوية تجذبه إلى المقعد الخلفى للسيارة ، فى نفس اللحظة التى دفعته فيها يد أخرى فى قوّة ، وانطلقت السيارة فى سرعة ، ليجد (دومينو) نفسه محاطًا برجلين ، عن يمينه ويساره ، ووجهاهما يحملان كل القسوة وملامح الإجرام .. وحاول أن يُبدى احتجاجًا أو مقاومة ، ولكن نَصل الخنجر الذى التصق بجانبه الايسر جعله يُحجم عن ذلك ، ويغمغم فى ارتياع :

ـ إلى أين تذهبون بى ؟

أجابه أحد الرجلين فى صرامة ، دون أن يلتفت إليه :

ـ ستعرف عندما نصل ، وحتى ذلك الحين اجلس صامتًا كطفل وديع ، دون أن تنفرج شفتاك عن سؤال واحد ، وإلّا قام زميلى بتمزيق أمعائك بخنجره ، فهو متخصِّص فى ذلك ، والأوامر لدينا لا تشترط إحضارك سليمًا أو حيًّا .

أطبق (دومينو) شفتيه ، دون أن يلفظ بحرف واحد زائد ، وانطلقت السيارة قرابة نصف الساعة ، قبل أن تتوقَّف فى منطقة مجهولة ، وهبط منها أحد الرجلين ، فطرق بابًا خشبيًّا ، لمنزل تحيط به الأشجار ، ففتح شخص ما الباب ، وألقى نظرة على الرجل ، وأخرى على السيارة ، ثم انصرف ، فدفع الرجل الآخر (دومينو) إلى داخل فناء المنزل القديم ، الذى يسوده الظلام ، وتناهى إلى مسامع (دومينو) نعيق بُوم ، فانقبض صدره .. ودفعه الرجلان داخل حجرة ضيقة ، يبدِّد ظلامها ضوء خافت ضعيف ، جعل بصره يقع على رجل قصير القامة ، حادّ النظرات ، مقوَّس الأنف ، له شعر أشقر غير مهذَّب ، ابتسم ابتسامة شيطانية ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا (دومينو) .. هل أساء رجالى معاملتك ؟



ودفعه الرجلان داخل حجرة ضيقة ، يبدّد ظلامها ضوء خافت ضعيف ، جعل بصره يقع على رجل قصير القامة ..

قال (دومينو) بصوت مرتجف ، وهو يتحاشى نظرات الرجل الحادّة :

ـــ من أنتم ؟.. ولماذا جئتم بى إلى هنا ؟

لم تفارق الابتسامة الشيطانية وجه القصير ، وهو يقول :

ـــ أُحبُّ أن نتعارف .. حسنًا .. لا شأن لك برجالى ، فهم غير اجتماعيين ، ولا يميلون إلى التعارف مع الآخرين ، بقدر ميلهم إلى العنف والقسوة ، وهذا يجعلهم غير محبوبين ، ولا يتركون إلا الانطباع بالكراهية مع كل من يعرفهم ، أمّا أنا ، فهم يطلقون علىَّ اسم (الجلّاد) ، ولست أدرى لماذا ؟.. فعلى الرغم من أننى إخصّائى فى وسائل القتل والتعذيب ، إلّا أننى أكون دوْمًا متفهِّمًا متعاونًا ، مع كل من يتفاهم ويتعاون معى .

ثم ثبّت نظراته الحادّة على وجه (دومينو) ، وهو يقول :

ـــ هل ستتعاون معى ، أم أشرح لك لماذا أطلقوا علىَّ اسم (الجلّاد) ؟

قال (دومينو) فى صوت يرتجف خوفًا :

ـــ لست أدرى أيّة أسئلة ستلقى علىَّ يا سيِّدى .

الجلّاد :

ـــ لماذا تركت عملك فى مصانع (جولويس) مثلًا ؟

دومينو :

ـــ لقد وجدت عملاً آخر ، فى أحد مصانع المدينة .

انقلبت سحنة الجلاد ، وحلَّ الغضب والقسوة محلّ ابتسامته الشيطانية ، وهو يقول :

ـــ أنت تكذب .

ولم يكد ينطق بالعبارة ، حتى انقضَّ أحد الرجلين ، اللذين أحضرا (دومينو) ، على هذا الأخير ، وشلَّ حركته فى قسوة ، فى حين مزّق الآخر وجهه ، من أسفل عينيه حتى ذقنه ، بضربة واحدة سريعة من خنجره ، جعلت (دومينو) يُطلق صرخة ألم ورُعب هائلة ، والدماء تنزف من وجهه ، والجلّاد يسأله مرَّة أخرى :

ـــ هل أدركت أننا جادُّون ، فى ضرورة حصولنا على أجوبة صادقة لأسئلتنا؟.. إن هذا الرجل يتلهَّف تمزيق أجزاء أخرى من وجهك ، وتركك تنزف أمامه حتى الموت ، دون أن يطرف له جفن ، فهو محترف كما ترى .

بكى (دومينو) فى هلع ، وهو يقول :

ـــ سأجيبك يا سيِّدى .. سأجيبك عن كل ما تريد .

ابتسم الجلّاد ، وهو يقول :

ـــ هيَّا إذن يا رجل .. وبسرعة .. إننى أستمع إليك .. أخبرنى بكل ما تعرفه ، وما أخبرك به زميلك ، بشأن المصنع رقم (١٣) السِّرِّىّ .. وأخبرنى لماذا زرت السفارة المصرية منذ أيام .. هيَّا ..

وفى هذه المرَّة انهار (دومينو) ..

وروَى كل ما لديه ..

* * *

وصل (ممدوح) إلى (ريوكا) ، عاصمة (جولايا) ، فى ساعة مبكِّرة من الصباح ، وهو يحمل اسم (ياسر زيدان) ، وصفة رجل أعمال مصرىّ ، وغرضًا محدودًا بسيطًا، ألا وهو السياحة ، دون أن يخطر ببال ضابط الجوازات ، الذى ختم جواز سفره فى مطار (جولايا) ، أنها أحد أخطر أنواع السياحة ..

وغادر (ممدوح) صالة المطار فى خطوات نشطة ، دون أن يدرى أنه هناك عيون ترصده ، منذ وطئت قدماه أرض المطار .. وكانت تعليماته تقتضى التوجُّه إلى السفارة المصريَّة ، لحضور حفل دبلوماسىّ فى الثامنة مساءً ، سيحضره أحد معاونى (سانشيز) ، ليلتقى به هناك بترتيب من ضابط أمن

السفارة .. وأن معاون (سانشيز) هذا ، هو الذى سيحدد الخطوة القادمة .. لذا فقد كانت أمام (ممدوح) فسحة من الوقت ؛ للذهاب إلى الفندق ، والحصول على حمام بارد ..

ولقد فعل ، ثم جلس فى شرفة الفندق ، يراقب غروب الشمس ، وهو يحتسى كوبًا كبيرًا من عصير البرتقال ، دون أن تكون لديه خطة معينة ؛ إذ كان الأمر كله يعتمد على لقاء رجال (سانشيز) ، نظرًا إلى درايتهم التامة بمجاهل تلك المنطقة النائية ، حيث مصانع (جولويس) ، وإلى أنهم — باعتبارهم من رجال المقاومة السرية — تتوافر لهم بعض المعلومات عن الأشخاص الذين يعملون لحساب (جولويس) ، فى نظام الحكم .. وبقدر ما كان (ممدوح) خالى الذهن عن أية خطة محدودة ، كانت هناك قوة تتضافر فى جسده ..

قوة الحماس والتصميم ..

وفى المساء ارتدى ثياب السهرة ، واجتاز الطريق الفسيح المؤدى إلى السفارة المصرية ، حيث أبرز بطاقة الدعوة لحارس السفارة ، فقاده على الفور إلى ضابط الأمن ، الذى استقبله قائلًا :

— أهلًا بك فى (جولايا) ، ويؤسفنى أننى لن أستطيع البقاء معك طويلًا ، حتى لا يثير ذلك الانتباه ، ولكن عليك أن تتصرف كرجل أعمال مصرى ، حتى يصل ذلك الرجل من رجال (سانشيز) ، وسأعمل على أن يتعرفك فى سرعة ، على أن تغادرا السفارة معًا على الفور .. فأنت تعلم حساسية الموقف بالنسبة لنا ، خاصة مع وجود شخص معاد لنظام الحكم فى (جولايا) هنا .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

— أقدر ذلك بالطبع ، واطمئن ، فقد انتهت مهمتك ، وبدأت مهمتى .

راح (ممدوح) طيلة الحفل يتصرف كرجل أعمال بارع ، وهو يتحرك من مكان إلى آخر ، طارحًا بعض الأفكار الاقتصادية ، أو محاولًا عقد بعض الصفقات مع المدعوين فى الحفل ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بالملل والقلق ، وقد أوشك الحفل على النهاية ، دون أن يحضر الرجل المنشود ، حتى اضطر إلى الانصراف مع باقى المدعوين ، بعد أن انتهى الحفل بالفعل ، دون أن يلتقى بالرجل ، وأشار إلى إحدى سيارات الأجرة ؛ لتقله إلى فندقه ، وألقى جسده داخلها ، وهو فى أشد حالات

الضيّق ، من جرّاء ضياع الوقت بلا فائدة ، ولم يلحظ فى غمرة ضيقه أن السيارة قد انطلقت فى اتجاه مخالف لطريق الفندق ، حتى فوجئ بها تتوقّف أمام بناء مهجور ، فى زقاق ضيّق ، فربّت على كتف السائق ، قائلًا :

— لماذا جئت بى إلى هنا ؟

التفت إليه السائق ، قائلًا فى سخرية :

— إنه مكان جيّد ، للحديث بعيدًا عن أعين وآذان الفضوليين .

وفجأة .. ظهر ثلاثة رجال مسلحين ، جذب أحدهم (ممدوح) إلى خارج السيارة فى عنف ، ودفعه إلى سيارة أخرى سوداء ، مغطّاة النوافذ ، تقف على بعد ثلاثة أمتار ، وشلّ الآخران حركة (ممدوح) ، فى حين فُتح زجاج نافذة السيارة السّوداء ، وبرزت منه ابتسامة شيطانية ، لوجه ذى أنف مقوّس ونظرات حادّة ..

وجه (الجلّاد) ..

* * *

٥ — لُعبة الموت ..

ألصق (الجلّاد) فُوّهة مسدّسه بجبهة (ممدوح) ، وقال فى سخرية ، وهو يبتسم ابتسامته الشيطانية :

— مرحبًا بك فى (ريوكا) أيها المقدّم (ممدوح) .

ابتسم (ممدوح) مسيطرًا على أعصابه ، وهو يقول :

— يبدو أنك قد أخطأت الشخص المطلوب يا رجل ، فاسمى ليس (ممدوح) ، بل (ياسر زيدان) .. وأنا رجل أعمال ، كما هو مدوّن بجواز سفرى .

أطلق (الجلّاد) ضحكة ساخرة ، وقال :

— فلتكفّ عن هذا الهُراء .. لقد فتشنا حجرتك بالفندق ، وعثرنا على أوراقك ، ولتعلم أن رجلًا له تاريخ حافل بالبطولات مثلك ، ويعمل بالمكتب رقم (١٩) ، لا يحقّ له إخفاء حقيقته وراء اسم وهُويّة مستعارين .

ابتسم (ممدوح) فى سخرية ، وتطلّع إليه قائلًا :

— أتهوَى اللعب بأوراق مكشوفة ؟.. لا بأس .. دَعْنى

أقل إذن إن رجلًا يحمل رتبة كولونيل فى المخابرات (الأسترانية) مثلك ، وله تاريخ حافل فى عمليات الإرهاب وجرائم التعذيب ، جعله يحمل لقب (الجلَّاد) ، لا ريب أنه لم يأت إلى (ريوكا) للتنزُّه والاستجمام ، وإنما لهدف أكثر أهمية .

أطلق (الجلَّاد) ضحكة عالية ، وقال :

ـــ أنت رجل ذكى أيها المقدَّم ، ولقد قيل لى إنك تتمتَّع أيضًا بقوَّة وثبات الأعصاب ؛ لذا فسأختبر أعصابك بلُعبة لطيفة .. إن خزانة المسدَّس تزوَّد عادةً بثمان طلقات ، ولكننى أودعتها رصاصة واحدة . لست أدرى أنا نفسى متى تنطلق ، فربما كانت الرصاصة الأولى ، أو الثانية ، أو الأخيرة .. ولن يمكننا معرفة ذلك ، إلَّا عندما تستقر الرصاصة فى جمجمتك .. إنهم يسمونها لُعبة الموت ... هل أبدأ اللعبة ؟

راح (ممدوح) يقاوم الرجلين ، اللذين يقيِّدان حركته ، فأطلق (الجلَّاد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ هاهى ذى أعصابك تهتز ، قبل حتى أن نبدأ اللُّعبة .. حسنًا .. يمكننى أن أعفيك منها ، شريطة أن تخبرنى بحقيقة مهمتك هنا ، وبالخطَّة التى أعدَّتها حكومتك بشأن مصنع (جولويس) السرِّى .

أجابه (ممدوح) :

ـــ كلانا يعلم أن النتيجة واحدة فى الحالتين ، فستتخلَّص منِّى حتمًا فى النهاية .

ضغط (الجلَّاد) زناد مسدَّسه فى عنف ، وهو يلصق فوَّهته بجبهة (ممدوح) ، التى تصبَّب عليها عرق غزير ، وانطلق من المسدَّس صوت تكَّة معدنية ، كان لها وقع عنيف على أعصاب (ممدوح) ، قبل أن يقول (الجلَّاد) :

ـــ فارغة .. يا للخسارة !! إنك تضيع وقتنا .. لا بأس .. ستواصل اللُّعبة .

همَّ بضغط زِناد مسدَّسه مرَّة أخرى ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها الاضطراب فى عينى أحد الرجلين ، اللذين يمسكان بـ(ممدوح) ، وصرخ فى توتُّر :

ـــ احترس ..

دار (الجلَّاد) على عقبَيْه فى سرعة ، وألقى نفسه أرضًا ، وهو يصوِّب مسدَّسه إلى الجدار ، فى حين انطلقت ـــ فى نفس اللحظة ـــ رصاصة من بندقية آلية ، أصابت الرجل الذى أطلق التحذير ، فسقط جثة هامدة ، ولوَّثت دماؤه ثياب (ممدوح) ، الذى شاهد رجلين ملثَّمين تسلَّقا الجدار ، وراحا يطلقان



دار (الجلاد) على عقبيه فى سرعة ، وألقى نفسه أرضًا ،

وهو يصوّب مسدسه إلى الجدار ..

رصاصاتهما على (الجلاد) ورجاله ، فأسرع (الجلاد) إلى سيارته زحفًا ، وفتح بابها ، ولكن رصاصة أصابته فى كتفه ، فسقط إلى جوار السيارة ، على حين اندفع الرجل الثالث يفرّ من المكان ، متخفّيًا عن (ممدوح) ، وكذلك فعل سائق السيارة ، فهبط الرجلان الملثمان من فوق الجدار ، واندفعا نحو (ممدوح) ، الذى أسرع ينتزع مسدسه متحفزًا .. فعلى الرغم من أنهما قد أنقذاه من (الجلاد) وأعوانه ، إلا أن هذا لم يكن يَعْنى حتمًا أنهما صديقان ، مادام يجهل إلى أى جانب ينتميان ، ولكن أحدهما هتف به ، وهو يعلّق بندقيته فى كتفه :

ــ لا داعى .. لسنا أعداء .

سأله (ممدوح) ، وهو يراقب الآخر ، الذى ظلّ ممسكًا ببندقيته ، يراقب المكان فى حذر :

ــ من أنتما ؟

أجابه الرجل :

ــ لقد أتينا لنصحبك إلى (سانشيز) .

ممدوح :

ــ ولماذا لم نلتق فى السفارة ، طبقًا للاتفاق ؟

أجابه الرجل :

— لقد اضطررنا لتعديل ذلك، فجواسيس (جولويس)، ورجال المخابرات (الأسترانية) يراقبون السفارة والمنطقة المحيطة بها .. ومن الأفضل أن نذهب الآن، فلاريب أنهم سيعودون مع المزيد .

هتف (ممدوح) فى حماس :

— نعم .. هيَّا بنا .

وابتعد الثلاثة عن المكان فى سرعة ..

* * *

توقَّفت السيارة، التى حملت (ممدوح)، أمام منطقة أحراش كثيفة، وطلب منه أحد الرجلين أن يغادرها، ففعل، وهو يتطلَّع إلى الأحراش الممتدَّة أمامه إلى ما لانهاية، قائلًا فى مرح :

— ياها من منطقة شاعرية !

قال الرجل فى صرامة، دون أن يلتفت إلى دُعابته :

— معذرة . سنضطر إلى تغطية وجهك بقطعة من القماش الأسود، حتى نصل إلى مقر (سانتيز) .

ممدوح :

— أهذا الإجراء ضرورىّ ؟

أجابه الرجل فى حزم :

— نعم .. إننا نقوم بأعمال المقاومة السِّرية، وهذا يدخل ضمن متطلبات الأمن الضرورية .

ودون أن ينتظر تعليق (ممدوح)، أشار إلى زميله، الذى وضع على وجه بطلنا قطعة من القماش الأسود السميك، حجبت عنه الرؤية، ثم أمسك ساعده، وراح يقوده وسط الأحراش، يتقدَّمه زميله، حتى توقَّفوا أخيرًا، ورفعوا العصابة عن عينيه ..

ووجد (ممدوح) نفسه وسط مجموعة من الأكواخ الخشبيَّة، تحجبها الأشجار، واصطحبه أحد الرجلين إلى أحد هذه الأكواخ، وهو يتطلَّع إلى مجموعة من المسلحين، يقومون على حراستها، وفى الداخل وجد (ممدوح) رجلين انهمكا فى لعب الورق، حول مائدة خشبية صغيرة، وكان أحدهما بدين، أصلع، كثّ الشارب، على حين كان الآخر يمتلك قوامًا رياضيًّا، ولحية وشاربًا صغيرين، وله شعر أشعث خشن للغاية، وقال الرجل الذى يقوده :

— هاهو ذا الضابط المصرى .

التفت ذو القوام الرياضى إلى (ممدوح)، ووجهه يحمل

ابتسامة عريضة ، ثم نهض يصافحه فى حرارة ، قائلًا :

ــ مرحبًا بك .. كنت أترقَّب وصولك فى اشتياق بالغ .. أنا (فرناندو سانشيز) ، قائد هذه الشِّرذمة من الرجال ، الذين يناضلون ضد نظام الحكم الفاسد فى (جولايا) .

شدَّ (ممدوح) على يده ، قائلًا :

ــ وأنا المقدَّم (ممدوح عبد الوهاب) ، من إدارة العمليَّات الخاصَّة المصرية .

سانشيز :

ــ لا ريب أنك قد واجهت الصعاب ، حتى جاءوا بك إلى هنا .

ممدوح :

ــ إننى أدين بحياتى لرجالك فى الواقع . فلقد كنت قاب قوسين أو أدنى من الموت ، عندما أنقذونى .

سانشيز :

ــ لقد اضطررنا لتغيير خُطَّة اللقاء ، فقد قام ذلك (الأسترتانى) ، الذى أحضره (جولويس) باختطاف (دومينو) ، زميل أخى ، وأجبره على الاعتراف بكل شىء ، بما فى ذلك اتصاله بسفارتك ، وبى ، ثم قتله فى النهاية .. وكان من المنطقى

بعد ذلك أن يترقَّبوا وصول شخص مثلك ، فأرسلو رجالهم لمراقبة المطار ، والسفارة المصرية فى (ريبوكا) ؛ لذا فقد فضلنا أن نلتقى بك خارج السفارة ، مدركين حساسية وضعنا كرجال مقاومة سرِّية .

ثم أمسك بذراع (ممدوح) ، وقدَّمه إلى الرجل الذى كان يشاركه لعب الورق ، وقال :

ــ أما هذا فالرجل الثانى فى حركتنا .. إنه نائبى (ديداس) .

قلَّب (ديداس) سيجاره الضخم بين شفتيه ، وصافح (ممدوح) بوجه خالٍ من التعبيرات ، فى حين دعا (سانشيز) (ممدوح) إلى الجلوس ، فقال الأخير :

ــ سنيور (سانشيز) .. هناك سؤال يلحُّ على ذهنى ، منذ وصلت إلى هنا ، ألا وهو : هل الدافع الوحيد لكل ما تبذله من جهد لمساعدتى ، هو الانتقام لمصرع أخيك فقط ؟

أجابه (سانشيز) :

ــ بالطبع .. ولكنْ هناك سبب آخر أيضًا ، وهو أننا نقاتل ضد نظام حكم فاسد هنا .. وهناك عدة قوى وأشخاص من ذوى النفوذ ، يساندون هذا النظام ، ويعملون لصالحهم الخاص ، على حساب الشعب ، ومنهم (جولويس) هذا ، فهو عميل لـ (أسترتان) ، تلك الدولة التى تساند نظام

الحكم فى (جولايا) ، وتمدّه بالمال والسلاح ، والخبراء العسكريين .. ثم إن (جولويس) هذا يقيم مصنعًا للشرّ على أرضنا ؛ لذا فلن أتوانى عن مساعدتك ؛ لأن عدوّنا مشترك كما ترى .. صحيح أنه من الخطأ أن أشتت جهود رجالى بمحاربة شخص مثل (جولويس) ، وهدفنا الحقيقى هو محاربة ذلك الدكتاتور ، الذى يحكم (جولايا) ، وإسقاط نظامه ، لتسقط معه كل البؤر الفاسدة التى تسانده ، ولكننى ورجالى سنقف إلى جوارك ، لمواجهة ذلك الشيطان (جولويس) .

غمغم (ممدوح) :

— وأنا أقدّر ذلك .

سانشيز :

— حسنًا .. الليلة سأقودك إلى النفق المؤدّى إلى مصانع (جولويس) .

هتف (ممدوح) فى دهشة :

— أىّ نفق ؟

أجابه (سانشيز) فى صوت حازم عميق :

— نفق الشرّ يا سنيور (ممدوح) .. النفق الذى يقود إلى الجحيم .. الجحيم نفسه ..

* * *

٦ — معركة الأحراش ..

كانت الأرض مغطاة بأعشاب طويلة ، ومحاطة بأشجار عالية متشابكة ، ولقد ارتفعت عدة رءُوس من بين الأعشاب فى حذر ، ثم نهض أصحابها ، واندفعوا نحو الأشجار ، ليحتموا بجذوعها الضخمة ..

كانوا ثمانية أشخاص ، يرتدون ثيابًا خضرًا ، تماثل ألوان الطبيعة المحيطة بهم ، وكان من الواضح أنهم قد جاءوا من أجل مهمّة بالغة الخطورة ، فقد كانوا مسلحين تسليحًا جيّدًا ، وكان من بينهم (سانشيز) ، الذى أطلّ من خلف جذع إحدى الأشجار ، وهو يراقب رُقعة من الأرض العشبيّة ، وقد بدت نباتاتها أقصر من مثيلاتها ، وهمس فى أذن (ممدوح) ، الذى يجاوره :

— هذه هى بداية النفق .. تلك الرُّقعة من العُشب القصير ليست سوى غطاء معدنىّ متحرّك ، مغطًى بطبقة طينية ، استنبتنا فوقها هذه الأعشاب للتمويه فهى من نفس نوع أعشاب

الغابة .. لقد أخبرنى أحد عجائز القرية عن حقيقة هذا النفق ، الذى استخدمه المهرّبون قديمًا لإخفاء الذهب ، الذى كانوا يسرقونه من (جولايا) ، وللاختفاء والفرار من الشرطة وقت الحاجة .. ولقد استخدمناه نحن خلال عملياتنا السرّية ، عندما كنا نتعرّض للخطر ، وكان يؤدّى بنا إلى منطقة قريبة من مجمّع (جولويس) الصناعى ، ونحن نعمل — فى هذه الأيام — على مده حتى ذلك المصنع (الأستراتانى) السرّىّ .

ممدوح :

— حسنًا .. دعْنا لا نضيع الوقت ، ولنبدأ فى فحص النفق .

سانشيز :

— بالطبع .. ما زالت أمامنا ساعتان قبل الفجر ، وعلينا أن ننهى مهمّتنا قبل مرورهما .

وأشار إلى ثلاثة من أعوانه ، ليقوموا بحراسة المنطقة ومراقبتها ، على حين اقترب هو مع (ممدوح) ، وأربعة آخرين من رجاله ، من رُقعة العُشب القصير ، واستخدم رجلان من رجاله سيخين من الحديد لرفع غطاء النفق المعدنى الثقيل ، وأسرع (سانشيز) و (ممدوح) وأحد الرجال يهبطون

النفق ، وينحدرون فوق أرض رطبة لوّثت ثيابهم ، وقد كشفت لهم أضواء مصابيحهم تجويفًا ضخمًا ، يمتدُّ تحت الأرض ، ويقود إلى فراغ مظلم مخيف ، وعشرات الفئران تعْدُو مذعُـورة من الضوء ، وترتطـم بهم ، وغمغـم (سانشيز) ، وهو يتقدّم الركب :

— لا تعبأ بتلك الحيوانات الصغيرة ، فنحن نسعى خلف حيوانات كبيرة ، واتبعنى ، ولاحظ أنك ستشعر ببعض الضيق فى التنفس كلما تقدّمنا ، وعليك أن تحتمله حتى نصل إلى هدفنا .

واصلوا سيرهم قرابة نصف الساعة ، وشعر (ممدوح) بضيق التنفس هذا بالفعل ، ولكنه راح يقاومه فى إصرار ، حتى بدأ النفق يتخذ مسار الصعود إلى أعلى ، فأدرك (ممدوح) أنهم قد صاروا بالقرب من سطح الأرض ، لولا أن اعترضت طريقهم كتلة ضخمة من الصخور والأتربة ، فقال (سانشيز) :

— هنا نهاية المطاف بالنسبة لنا ، فهذا أقصى ما أمكننا حفره لتوسيع النفق حتى الآن .. وفوقنا الآن يوجد غطاء معدنى آخر ، يشبه ذلك الذى دخلنا منه النفق فى الغابة ،

ولكن هذا يؤدى إلى موقع قريب من مجمَّع (جولويس) الصناعى .

ممدوح :

ــ ألا يمكننا الوصول إلى المجمع الصناعى ، عبْرَ ذلك الموقع فوقنا ؟

سانشيز :

ــ هذا مستحيل تقريبًا ، فهم يحيطون المكان بحراسة مشدَّدة ، وخاصَّة بعد الأحداث الأخيرة ، ولكننا سننجح فى توسيع النفق ، حتى نصل إلى المصنع السرِّىّ ، خلال بضعة أيام .

صمت (ممدوح) برهة ، ثم قال فى حزم :

ــ يبدو أنه لا مناص من المخاطرة والمجازفة ، فالوقت لا يعمل لصالحنا ، وربما حاولوا إخفاء حقيقة المصنع ، خلال الأيام القليلة القادمة ، قبل أن نتمكَّن من كشف حقيقة ما يحدث داخله .

قال (سانشيز) :

ــ ولكننى لا أستطيع المخاطرة برجالى ، فى مغامرة غير مأمونة العواقب كهذه ، فأى اشتباك بينهم وبين حرّاس

(جولويس) ، لن يكون لصالحنا ، فهؤلاء الأوغاد يحتمون فى حصن حصين ، ثم إن هجومنا سيكشف أمر نفقنا السرِّىّ دون طائل .

قال (ممدوح) فى حزم :

ــ لست أطالبك بالمخاطرة برجالك ، بل سأقوم بالعمل وحدى .

هتف (سانشيز) فى دهشة واعتراض :

ــ وحدك ؟!.. مستحيل !! هذا انتحار !!

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ إنه عملى .. لقد اعتدت تلك الأعمال الانتحارية .

سانشيز :

ــ ولكنك تنسف مهمَّتك منذ البداية ، بهذا العمل المتهوِّر .

ممدوح :

ــ سترى أننى سأنجح بإذن الله ، فقط أرشدنى إلى طريق الوصول إلى مصنع (جولويس) السرِّى ، وطريق العودة إلى النفق ، واترك الباقى لى .

صمت (سانشيز) لحظات مفكِّرًا ، ثم قال :

ـــ لن يمكنك بدء مهمّتك الآن على أيّة حال ، فسينبلج الصباح بعد قليل ، وعلينا أن نغادر النفق الآن ، وما دمت مصرًّا على أداء تلك المهمّة ، فليكن ذلك ليلًا .. هيًا .. سنعود أدراجنا .

اتخذ الجميع طريق العَوْدة ، وغادروا النفق قبيل الفجر بقليل ، وعندما وصلوا إلى الأكواخ التى اتخذها رجال المقاومة سكنًا ، كانت الشمس تُرسل أشعتها الأولى ، وَكان الجوُّ ساكنًا تمامًا ، حتى أن (سانشيز) أشار إلى رجاله بالتوقُّف ، وقال فى شكٍّ ، وهو يتطلَّع إلى الأكواخ :

ـــ هذا السكون الشديد يقلقنى للغاية .. أين رجال الحراسة ؟

أشار أحد رجاله إلى كوخ جانبىّ ، وقال فى انفعال :

ـــ انظر يا (سانشيز) ، هذا الكوخ يبدو وكأنه قد تعرَّض إلى نيران شديدة ، فجداره الغربىّ متفحّم تقريبًا .

تخلّى (سانشيز) عن حذره ، وانطلق يركض نحو الأكواخ ، الأكواخ ، ثم لم يلبث أن توقَّف ، هاتفًا فى مرارة وألم :

ـــ اللّعنة !!

كان المكان مكتظًّا بعشرات من جثث رفاقه ، متناثرة

على الأرض الترابية حول الأكواخ ، فانطلق يفتح الأكواخ واحدًا بعد الآخر ، لتفاجئه عشرات الجثث أيضًا ، وصاح أحد رجاله فى ألم :

ـــ لقد كشفت القوات الحكومية وكرنا .. يا لها من مذبحة !! .. يا للأوغاد !!

احتقن وجه (سانشيز) ، وأطلق صرخة غضب وألم وحزن و .....

وفجأة .. قفز (ممدوح) نحو (سانشيز) ، وألقى به أرضًا ، وارتفع فوق رأسيهما دَوِىّ رصاصات مدفع آلىّ ، وارتفع صوت غاضب يهتف :

ـــ أيها الأغبياء المغفلون ، أريد (سانشيز) ومجموعته الباقية أحياء .. حاصروهم وأطلقوا النار على من يقاومكم فحسب .

وبرزت من حول المكان مجموعة من القوات الحكومية النظامية المسلحة ، راحت تهاجم المكان فى شراسة ، وشهر (سانشيز) ورجاله أسلحتهم ..

وانقلب المكان إلى جحيم ..

* * *

٧ ــ الهروب العجيب ..

بعد لحظات من تبادل النيران ، أدرك (ممدوح) أن المعركة غير متكافئة ، فالتفت إلى (سانشيز) هاتفًا :

ــ لا جدوى من المواجهة المباشرة ، فهم أكثر عددًا ، وأقوى تسليحًا ، والاشتباك المباشر يَعْنِى الانتحار .

قال (سانشيز) ، وهو يفرغ آخر رصاصاته فى جسد أحد الجنود :

ــ أنت على حق .. لقد سقط اثنان آخران من الرجال ، ولا مناص من الاستسلام .. لقد باءت مهمَّتك بالفشل ، قبل أن تبدأ .

هتف (ممدوح) فى حزم :

ــ هذا ما تظنه ، ما زال الوقت مبكرًا لقول هذا .

سأله (سانشيز) فى حَيْرَة :

ــ ماذا تعْنِى ؟.. ألن تستسلم معنا ؟

أجابه (ممدوح) :

ــ بل سأودعكم مؤقتًا ، وكل ما أطلبه منك ومن رجالك هو أن تعملوا على تغطيتى بقدر الإمكان ، قبل أن تستسلموا ، وأعِدك بأننا سنلتقى مرَّة أخرى قريبًا .. وقريبًا جدًا .

دفع (سانشيز) خزانة رصاصات جديدة فى مسدسه ، وأشار إلى رجاله بمواصلة القتال ، وهو يسأل (ممدوح) :

ــ ولكن كيف سيمكنك الفرار ؟.. إنهم يحاصروننا من كل جانب ؟!

أجابه (ممدوح) مبتسمًا :

ــ إن لدىّ وسائلى الخاصّة .

وقلب ياقة قميصه ، والتقط من أسفلها قرصين مستديرين ، أشبه بالأزرار ، وألقاهما إلى أعلى ، ليستقرا فى سقف الكوخ من الجانبين ، بقوة جذب مغناطيسية قويَّة ، ثم راح يدير عقارب ساعته بحركة عكسية سريعة ، وعيناه مسلطتان على القرصين ، و (سانشيز) ورجاله يراقبونه فى دهشة ، وهم يواصلون القتال ، حتى عاد يتطلَّع إلى ساعته ، وقد اختفت أرقامها العاديَّة ، وارتسمت فى منتصفها أرقام مضيئة ، فأسرع ينزع عنه قميصه ، وهتف (سانشيز) فى دهشة ، وهو يتطلَّع إلى كيس جلدىّ مثبت خلف ظهر (ممدوح) بأحزمة قوية تلتف حول صدره :

— ماهذه الحقيبة ، التى تحملها خلف ظهرك ؟

أجابه (ممدوح) ، وهو منهمك فى عمله :

— إنها مِظلّة جوّيّة .

هتف (سانشيز) بمزيد من الدهشة :

— مِظلّة جوّيّة ؟! .. أتنوى الفرار فى طائرة ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

— لا .. إنها مظلّة من نوع خاص ، فهى لا تهبط .. بل تصعد .

قال (سانشيز) فى ضيق ، وقد ظن أن (ممدوح) يسخر منه :

— أجئت إلى (جولايا) ، لتقدّم فقرة سحرية ؟

أجابه (ممدوح) :

— بل هو سحر التكنولوجيا ، الضرورىّ لمن يعمل فى مثل مهنتى .

وقبل أن يضيف (سانشيز) حرفًا آخر ، ضغط (ممدوح) زرّ ساعته ، فانفجر القرصان ، وقفز سقف الكوخ أشلاءً متناثرة ، وتوقّف الفريقان فى ذهول ، إزاء ما حدث .. فلم يكد السقف ينفجر ، حتى اندفعت المظلّة من حقيبتها ، وحملت جسد (ممدوح) إلى أعلى ، عَبْرَ فجوة السقف .. وقبل

أن يذهب أثر المفاجأة ، كان قد هبط عند السيارة التى أقلّته مع (سانشيز) إلى المكان فى البداية ، والتى جاءت به إلى هناك لأوّل مرّة ، فقفز داخلها ، وأدار محرّكها ، وانطلق بها كالصاروخ ، والرصاصات تلاحقه فى شراسة ، ولكن بلا جدْوى ..

لقد نجح فى الفرار ..

* * *

راح (ممدوح) ينقر بأصابعه على سطح مكتب ضابط أمن السفارة المصرية فى عصبيّة ، حتى وصل ضابط الأمن ، فهبّ (ممدوح) واقفًا ، يسأله فى لهفة :

— هل جئت بالمعلومات المطلوبة ؟

أجابه ضابط الأمن ، وهو يجلس خلف مكتبه :

— لقد اعتقلوا (سانشيز) ورجاله ، وهم يحاولون انتزاع أكبر قدر من المعلومات منهم عنك ، قبل أن يتخلّصوا منهم بمحاكمة عسكريّة صورية .

ممدوح :

— وأين اعتقلوهم ؟

ناوله الضابط خريطة صغيرة ، وهو يقول :

— ها هو ذا مكان المعتقل ، ولكن أخبرنى : فيم تفكّر ؟
لم يجب (ممدوح) عن سؤاله ، وإنما سأله :
— هل يقومون باستجوابهم داخل المعتقل ؟
ضابط الأمن :
— بل فى إدارة الأمن السياسى ، وهو جهاز يتبع رئيس الدولة مباشرة ، ويعمل على دعم النظام وحمايته .
ممدوح :
— وأين إدارة الأمن السياسى هذه ؟
ضابط الأمن :
— على مسافة ثلاثة كيلومترات من المعتقل ، حيث يتم نقل المعتقلين يوميًا ، من المعتقل إلى الإدارة ، تمارس ضدهم أبشع وسائل التعذيب ، لإجبارهم على الإدلاء بما لديهم ، ثم يتم إعادتهم إلى المعتقل .. وهكذا دوَالَيك ، حتى ينتهى رجال الأمن السياسى من الحصول على كل ما يرغبون فيه .
شرد (ممدوح) قليلًا ، فنهض الضابط من خلف مكتبه ، واقترب منه ، قائلًا :
— ولكن ما الذى يدور بخلَدك فى هذا الشأن ؟
ممدوح :

— أفكّر فى إنقاذ (سانشيز) وأعوانه من ذلك المعتقل .
ارتفع حاجبا ضابط الأمن فى دهشة ، وهو يهتف مستنكرًا :
— ماذا تقول ؟! .. هذا جنون مُطبِق .. أنت لا تدرى أى نظام حديدىّ يطبّق هنا ، ولا تعلم أيّة قلعة حصينة هذا المعتقل .
ممدوح :
— سأحاول إنقاذهم فى أثناء نقلهم من المعتقل إلى إدارة الأمن ، أو العكس .
الضابط :
— إنهم ينقلونهم داخل سيارة مصفّحة ، ووسط حراسة مشدّدة .
هتف (ممدوح) فى حزم :
— لقد وعدت هؤلاء الرجال بمساعدتهم ، ثم إننى أحتاج إليهم لتنفيذ مهمّتى ؛ لذا فسأخاطر .
صاح الضابط :
— ولكن لو وقعت فى أيدى رجال الأمن السياسى ، فلن يرحموك ، وأنت تعلم ذلك .
قاطعه (ممدوح) فى إصرار :

— أعلم ذلك ، وسأتحمَّل المسئولية كلها .. سأقول إننى قد انضممت إلى حركة المقاومة السِّرِّيَّة ، إيمانًا منى بمبادئ رجالها ، ولن أشير إلى السفارة المصرية ، أو أتسبَّب فى حدوث أزمة دبلوماسيَّة بين (مصر) و (جولايا) .

هزَّ ضابط الأمن رأسه فى أسف ، وقال :

— ولكننا لن نستطيع أن نقدِّم لك يد المساعدة بعد الآن .

ممدوح :

— أعلم ذلك .. فقط أريد حقائبى من الفندق .

غمغم الضابط :

— لقد أحضرناها بالفعل، وهى فى مكان آمن لكناك الآن .

تنهَّد (ممدوح) فى ارتياح، وقال :

— رائع .. والآن سأبدأ فى دراسة أرض المعركة، لإعداد خطَّة القتال .

قال رجل الأمن :

— ولا تنسَ خطَّة العَوْدة .

ثم أضاف فى أسف :

— لو قدِّر لك أن تعود .

* * *

٨ — صِرَاع بين التِّلال ..

كَمَنَ (ممدوح) فوق أحد التِّلال ، يراقب نقطة الضوء التى تقترب من مَكْمَنِه ، عَبْرَ الطريق الضيِّق ، الذى يفصل بين التِّلال الصخرية والخضراء ، والتقطت أُذناه صوت محرِّك السيارة ، وهى تقترب ، قبل أن تبرز فجأة عند منحنى الطريق ، تتقدَّمها عربة (جيب) مكشوفة ، تقلُّ ثلاثة جنود مسلحين ، أحدهم يقف ممسكًا بمدفع آلىّ ضخم ، مثبَّت فى جسم السيارة ، وكانت السيارة التى ينتظرها (ممدوح) مصفَّحة ، لا يمكن لأىّ شىء اختراق جسمها ، فيما عدا نافذة صغيرة مفتوحة ، إلى جوار السائق ..

وكان من الواضح أن ضابط أمن السفارة لم يكن مخطئًا ، عندما أكَّد لـ (ممدوح) أن محاولة تحرير (سانشيز) ورجاله تعدُّ عملًا جنونيًّا تمامًا ..

ولكن (ممدوح) كان يهوَى تلك الأعمال الانتحاريَّة الجنونية ..

ولقد انتظر حتى تجاوزته السيارة (الجيب) ، ثم قفز من مكمنه فوق السيارة المصفحة ، وتشبث بها فى قوة ، واسترعى صوت ارتطام جسده بالسقف انتباه المحققين داخلها ، فقال أحدهم لـ (سانشيز) :

ـــ هل سمعت هذا ؟

أجابه (سانشيز) فى ضيق :

ـــ نعم .. ربما هو جذع إحدى الأشجار ، سقط فوق السيارة .

وفى هذه الأثناء ، كان (ممدوح) يلتقط من جيبه جهازًا شبيهًا بالقلم ، وهو يبذل أقصى جهده للحفاظ على توازنه فوق السيارة ، ثم أدلى يده إلى النافذة المفتوحة إلى جوار السائق ، وضغط طرف الجهاز .. وقبل أن يبدى السائق دهشته للمفاجأة ، انطلقت من فتحة القلم دوائر ضوئية متتالية ، تشبه فى مكوّناتها أشعة اللّيزر ، فأغشت بصر الرجلين ، وأصابت عيونهما باحتقان شديد ، أعجزها عن الرؤية ، وصرخ الضابط آمرًا السائق :

ـــ توقّف ، وإلا حدثت الكارثة .. إننا عاجزان عن الرؤية تمامًا .



وفى هذه الأثناء ، كان (ممدوح) يلتقط من جيبه جهازًا شبيهًا بالقلم ، وهو يبذل أقصى جهده للحفاظ على توازنه فوق السيارة ..

أوقف السائق السيارة ، وقفز خارجها مع الضابط المكلَّف نقل المعتقلين ، وهما يحاولان الفرار من ذلك الشيء ، الذي ألهب عيونهما ، وأصابهما بعمًى مؤقت .. وعلى الفوْر قفز (ممدوح) داخل كابينة قيادة السيَّارة المصفَّحة ، وهو يرتدي منظارًا ذا عدسات بنفسجية خاصة ، تحُول دون تأثُّر عينيه بدوائر الأشعة المُبهرة ، وأدار محرِّك السيارة ، وانطلق بها في طريق جانبي ، متجاهلًا سيارة (الجيب) التي تسبقه ، والسائق والضابط ، اللذين أصابتهما الحَيْرة لدوَران محرِّك السيارة المصفَّحة من جديد ، وهما عاجزان عن الرؤية ..

وعندما انتبه حرَّاس (الجيب) الثلاثة إلى ما حدث ، انطلقوا يطاردون السيارة المصفَّحة ، على حين لم ينتبه (سانشيز) ورجاله إلى ما يحدث ، إلا عندما أوقف (ممدوح) السيارة المصفَّحة ، وفتح بابها بمفاتيحها الأصلية ، التي تركها الضابط داخل السيارة ، فهتف (سانشيز) فور رؤيته :

ــ يا للشيطان !!.. كيف جئت إلى هنا ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ ألَمْ أعِدك بأننا سنلتقي قريبًا ؟

هتف (سانشيز) في ذهول :

ــ ولكن .....

قاطعه (ممدوح) :

ــ لا وقت للشرح .. هل تعرف تضاريس المكان ؟

سانشيز :

ــ بالطبع .. لا يوجد مكان أجهله ، في (جولايا) كلها .

ممدوح :

ــ تعالَ إلى جواري في كابينة القيادة إذن ، لتقودني إلى أقرب مكان يمكننا الذهاب إليه بهذه السيَّارة ، ثم نواصل الفرار على أقدامنا .

انتقل (سانشيز) إلى كابينة القيادة في سرعة ، وبقي رجاله في المؤخرة ، فرحين بقدوم ذلك الملاك الحارس ، الذي جاء لينقذهم من مصير مُعْتِم ، ولكن قبل أن يصعد (ممدوح) إلى السيارة ، هتف مشيرًا أمامه :

ــ يبدو أن الأمر لن يكون بالبساطة التي تصوَّرتها ، فهاهي ذي (الجيب) قادمة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انهالت الرصاصات على السيارة المصفَّحة ، فألقى (ممدوح) مسدَّسًا إلى (سانشيز) ،

وانبطح إلى جوار السيَّارة ، وصوَّب مسدَّسه إلى الرجل الذى يمسك بالمدفع المثبت فى (الجيب) ، ويُطلق منه النيران ..

وأصابت رصاصات (ممدوح) هدفها بمنتهى الدِّقَّة ..

لقد أصابت الرصاصة الأولى كتف الجندىّ الواقف خلف المدفع ، فترنح وسقط أرضًا ، وأصابت الثانية إطار (الجيب) ، على حين أطلق (سانشيز) رصاصة على جندىّ حاول إطلاق رصاصاته نحو (ممدوح) ، فأسرع الجندىّ الثالث يلقى قنبلة يدويَّة على السيارة ، مما جعل (ممدوح) يهتف :

ـ احتموا جميعًا .

واحتمى هو بجدار السيارة المصفَّحة ، وارتجَّ المكان بدوىّ القنبلة ، ولكن جدران السيارة المصفَّحة أثبتت جدارتها ، وحمت راكبيها من الانفجار ، مما أثار حَنَق الجندىّ ، فأطلق قنبلته الثانية ، ولكن (ممدوح) أطلق عليها النار ، فى ثبات ورباطة جأش هذه المرَّة ، فانفجرت فى الهواء ، وتطايرت شظاياها ليسقط بعضها فوق سيارة (الجيب) ، وأسرع الجنود يغادرونها ، على حين أسرع (ممدوح) و (سانشيز) ورجال هذا الأخير يختفون خلف التلال المحيطة بالمنطقة ، و .....

ونجح (ممدوح) فى مهمَّته هذه المرَّة ..

* * *

٩ ـ أرض الشَّيطان ..

انتشر ثلاثة من رجال (سانشيز) على بعد مترين من رُقعة الأرض العُشبيَّة ، داخل الأحراش ، يراقبون الطريق من حولهم ، فى حين أسرع ثلاثة آخرون مع (سانشيز) و (ممدوح) إلى النفق ، وقد أعدُّوا عُدَّتهم ، وأحسنوا تسليحهم هذه المرَّة ، وبخاصة (ممدوح) ، الذى حمل معه مصباحه اليدوىّ ، ومسدَّسه الآلىّ ، وحقيبة جلدية خلف ظهره ، تحتشد بمعدَّاته الخاصَّة .. وبالنسبة إليه ، كانت مهمته الانتحارية قد بدأت ، ولم يعُد هناك مجال للتراجع أو التهاوُن أو التأخير ، أما (سانشيز) ورفاقه ، فقد أصبحوا أكثر استعدادًا لمساندته فى مهمَّته ، بعد أن خاطر بحياته لمساعدتهم وإنقاذهم ..

وواصل الرجال تقدُّمهم عَبْرَ النفق المظلم ، غير عابئين بعشرات الفئران الضخمة ، التى تتحرَّك تحت أقدامهم ، وقد أفزعها ضوء المصابيح ، وعاودهم ذلك الشعور بنقص الأكسوجين ، مما جعل خطواتهم أكثر بطئًا ، ولكن (سانشيز)

راح يستحثهم على مقاومة ذلك الضعف ، وكان (ممدوح) أكثرهم مقاومة له ؛ لأنه كان يدرك جيِّدًا قيمة الدقائق فى مهمته هذه ، حتى وصل الجميع إلى الجانب الآخر للنفق ، فتعاونوا على رفع الغطاء ، وصعدوا إلى سطح الأرض ، وتواروْا فى خِفَّة خلف الأشجار ، وهم يراقبون الطريق ، وأصابعهم متحفِّزة فوق أزندة أسلحتهم ، وراح (سانشيز) يوزِّع رجاله فى أماكن مختلفة ، ثم أشار من بعيد إلى قطعة أرض محاطة بالأسلاك الكهربائية والأبواب المعدنية ، قائـلًا لـ (ممدوح) :

— خلف هذه البوَّابات توجد مصانع (جولويس) .

أطلق (ممدوح) صفيرًا خافتًا ، وهو يقول :

— يا إلهى !! إنها تشبه حصنًا عسكريًا .

(سانشيز) :

— هذا صحيح ، ولكم يدهشنى أن أحدًا لم ينتبه إلى أن تلك التحصينات تفوق ما يمكن أن تحاط به مصانع للأسمدة والمبيدات .

فرد (ممدوح) أمامه الخريطة التى رسمها (دومينو) لموقع المصنع السِّرِّى ، وهو يقول :

— إن مصنع الأسلحة الكيميائية يقع هناك ، فى نهاية المنطقة الصناعية ، وسيكون علىَّ أن أجتاز منطقة المصانع الأخرى ، حتى أصل إليه ..

غمغم (سانشيز) :

— ستكون مهمَّتك عسيرة للغاية ، فالمكان محاط بسياج منيع من الأمن ، خاصَّة حول هذا المصنع ، ولو وقعت فى أيديهم فسيقتلونك بلا رحمة .

ممدوح :

— أعلم ذلك ، وعليك أن تهرب سريعًا مع رجالك ، لو شعرت بأدنى خطر .

سانشيز :

— ما رأيك لو عدت معى الآن ؛ لنتدارس الأمر على نحو أفضل ؟

ممدوح :

— لا وقت للتراجع .. إن (الأسترتانيين) يستشعرون الخطر الآن ، ويخشوْن من افتضاح أمرهم ، وقد يدفعهم هذا إلى إخفاء الأمر كله ، فتذهب مهمَّتى هباءً .. ثم إن اليوم هو إجازة العمال الأسبوعية فى مصانع المبيدات ، وهذا سيتيح

لى حرّية حركة أكبر ، ويقلّل من حجم الخسائر فى الأرواح ، إذا ما تحوّل الأمر إلى مواجهة عنيفة .

سانشيز :

ـ فليكن، ما دامت هذه إرادتك .. سأنتظرك هنا ، وسأكون مستعدًا للتدخّل مع رجالى ، إذا ما تأزّمت الأمور .

هبط (ممدوح) فى حذر من الهضبة العالية ، المطلّة على مصانع المبيدات ، ثم اجتاز الطريق المؤدّى إلى الأسلاك الشائكة المحيطة ببوّابة المصانع ، وألقى قطعة معدنية صغيرة على الأسلاك ، فأحدثت شررًا يشفّ عن أن الأسلاك مكهربة ، مُعدّة لتصعق كل من يلمسها ، فتناول (ممدوح) من حقيبته الجلدية جهازًا صغيرًا ، تمتد منه أربعة أذرع من الأسلاك المحاطة بغلاف عازل ممغنط ، وأوصلها بالسور المكهرب فى حذق وبراعة ، ثم ضغط على أربعة أزرار فى جهاز صغير ، يتصل كل زرّ منها بأحد أطراف السلك فحدث تماس كهربىّ ، تمزّقت على أثره أسلاك السور المكهرب ، وتساقطت أرضًا ، مخلّفة فجوة ، سمحت له بالعبور من خلالها ، مجتازًا مساحة من الأرض ، تؤدّى إلى الأبواب المعدنية ، وهناك ألقى بخطاف معدنى قوى مغلّف بطبقة سميكة من المطاط ، لتخفى صوت

ارتطامه بالحافة المعدنية ، وتمكّن من تثبيته فوق الحافة ، ثم راح يتسلّقه فى مهارة ، حتى بلغ أعلى الباب ، ورأى أسفله حارسين مسلّحين ، انشغل أحدهما بإشعال سيجارة لزميله ، فكمن فى موقعه صامتًا ، حتى افترق الحارسان ، فقفز داخل المكان ..

ولكن أحد الحارسين لم يكن قد ابتعد عن المكان كثيرًا ، فتناهى إلى مسامعه صوت هبوط (ممدوح) ، واستدار إلى مصدر الصوت فى سرعة ، ولكن (ممدوح) استغلّ الظلام ، واختبأ خلف عدد من أكياس الرمل ، إلى جوار السور ..

وفجأة .. شعر (ممدوح) بجسم ناعم الملمس ، يزحف فوق كتفه ، وانحبست أنفاسه عندما تبيّن له أنه ثعبان ضخم كان يرقد وسط أكياس الرمل ، فمدّ أصابعه فى حذر شديد إلى حزامه ، وجذب من فجوة صغيرة فيه إبرة حادة مدبّبة ، يبلغ طولها ثلاثين سنتيمترًا ..

وفى اللحظة التى رفع فيها الثعبان رأسه ، وأبرز أنيابه الحادّة السامة ، دفع (ممدوح) الإبرة أسفل فكّه ، فانغرست فى عنق الثعبان ، ونفذت من رأسه ، قبل أن تغوص فى أحد أكياس الرمل ..

وفجأة .. وجد نفسه أمام الحارس ، الذى استلّ سلاحه

فى سرعة ، فوثب (ممدوح) نحوه ، وألقاه أرضًا ، وجثم فوق صدره ، وانتزع منه بندقيته الآلية ، وكال له بكعبها ضربة قويّة فى فكّه ، أعقبها بأخرى أفقدت الرجل وعيه ، دون أن ينبس ببنتِ شفَة ، فأسرع يحمله ، وألقاه وسط أكياس الرمل ، بعد أن نثر بعض الرّذاذ المخدّر على وجهه ، ووقف يلتقط أنفاسه إلى جواره ، مغمغمًا :

ــ سيسلمك هذا للنوم عدة ساعات ، وحتى لو عثر عليك أحد رفاقك ، فسيظن أن ذلك الثعبان فعل بك هذا ..

ثم أسرع يعْدو متنقّلًا بين المصانع الخالية ، حتى لمح عددًا من الحرس المسلحين ، فتجنّبهم متطلّعًا إلى ساعته بين حين وآخر ، لتُنبئه إشاراتها عمّا إذا كانت هناك أيّة أجهزة إليكترونية ، أو عدسات تصوير سِرّية حوله ، حيث إنها مصمّمة لهذا الغرض ، ولكن ساعته أعلنت له أنه لا توجد أيّة أجهزة إلكترونية حوله ، على الرغم من أنه قد صار على بعد أمتار قليلة من بوابة المصنع السِّرّى ..

ولقد أدهشه ذلك حقًا ، فلم يكن من المنطقى أن يخلوَ المكان من الحراسة البشرية أو الإليكترونية ، مع خطورة ما يحدث خلف أبواب المصنع السِّرّى ، ومع ما اتّخذه

(الأسترتانيون) من حيطة ، بعد علمهم بوجوده فى (جولايا) ..

ولكنه لم يكن يستطيع التوقُّف ، فواصل سيره فى حذر ، محتميًا بجدار أحد المصانع ، ثم راح يزحف فوق الأرض الترابيّة ، التى تفصله عن المصنع السِّرّى ..

وفجأة .. ومضت شاشة ساعته بوميض فسفورى خافت ، معلنة وجود نوع من الإشارات الإليكترونية الدّقيقة ، فى مكانٍ ما حوله ..

وتوقّف (ممدوح) عن الزحف ، وهو يتساءل عن نوع تلك الأجهزة الإليكترونية ، ثم لمح على قيد خطوات منه فأرًا جبليًا ، ينبش الأرض بحثًا عن مخبئه ، فانقضّ عليه فى خفّة ، واقتنصه فى يده ، ثم ألقاه فى قوة فى منتصف قطعة الأرض ، التى تفصله عن المصنع السِّرّى ..

وعلى الفور .. توهّجت الأرض بضوء أحمر ، وراح الفأر المسكين يعْدو يَمْنةً ويَسْرَةً ، محاولًا الفرار من عدوٍّ مجهول ، ثم تسلّطت عليه بقعة من الضوء ، انطلقت من مكان ما داخل المصنع ..

ثم انهمرت الرصاصات كالمطر ..

واستحال المكان إلى جحيم ..

* * *

١٠ ــ مصنع الرُّعْب ..

توقَّف انهمار الرصاصات ، بعد أن تحوَّل الفأر الجبلىّ المسكين إلى أشلاء متناثرة ، وانفتحت بوَّابة المصنع ، واندفع منها عدد من الحرَّاس المسلحين ، هُرِعُوا نحو موقع الفأر ، ثم هتف أحدهم فى حَنَق :

ــ فأر مرَّة أخرى، إنها سادس مرَّة تضيع فيها رصاصاتنا هباءً .

وقال آخر فى حَنَق :

ــ لست أدرى لماذا صنعوا هذه المصيدة الإلكترونية السخيفة ، إنها لم تنجح إلَّا فى صيد الحيوانات ، منذ تركيبها ، ولم تسبِّب لنا سوى الإزعاج والقلق .

قال قائد مجموعة الحرَّاس ، وهو يدعُوهم إلى العَوْدة :

ــ لا داعِىَ للتذمُّر ، أنتم تتقاضَوْن رواتبكم مقابل هذا ، ثم إننى أرى أنه من الجيد أن نحاط باختراع لا يسمح لفأر بعبور البوَّابة .. إنه نظام مثالىّ ، حتى لا يتكرَّر ذلك التسلُّل ، الذى عجزتم عن منعه بإهمالكم .

كان (ممدوح) كامنًا خلف أقرب جدران المصانع إلى

البوَّابة ، يراقب ما حدث بمنظاره المقرِّب الخاصّ ، فابتسم مغمغمًا :

ــ هذا يفسِّر عدم اهتمامهم بحراسة البوَّابة من الخارج .. كان استنتاجى سليمًا .

وتناول من حقيبته جهازًا خاصًا ، ثبَّته فى مقدمة ماسورة مسدَّسه ، مستطردًا :

ــ والآن تبدأ التسلية .

وصوَّب مسدَّسه ، نحو مساحة الأرض التى تفصله عن المصنع ، فى إحكام ، وأطلق الجهاز بضغطة على زناد مسدَّسه ، فانطلق يشقُّ الهواء ، حتى غاص فى الأرض ، التى عادت تتوهَّج بذلك الضوء الأحمر ، ثم سقطت عليها بقعة الضوء ، وانطلقت الرصاصات المنهمرة كالمطر ، وعادت البوَّابة تفتح ، ويندفع منها الحرَّاس المسلَّحون ، وعاد أحدهم يهتف محتجًا :

ــ لا شىء هذه المرَّة أيضًا .. يا له من نظام أمن مزعج فاشل !!

وفجأة .. عادت الرصاصات تنهمر عليهم ، وصاح أحدهم :

ــ ابتعدوا .. لقد أصيب الجهاز بعطب ما .

وصرخ قائد الحرَّاس ، والجميع يعْدُون مبتعدين .



وصوّب مسدّسه ، نحو مساحة الأرض التى تفصله عن المصنع ، فى إحكام ، وأطلق الجهاز بضغطة على زناد مسدّسه..

ـ اذهب إلى حجرة التحكُّم ، ودعْهُم يُوقفون ذلك الجهاز اللعين فورًا ، وليلق بعضكم نظرة على المكان حول البوّابة ، فربّما حاول أحدهم اقتحام البوّابة ، ثم فرّ فور عمل الجهاز.

وعلى الرغم من عدمِ اقتناع الحرّاس بتلك الشكوك ، إلّا أنهم انصاعوا لما أمرهم به قائدهم ، وراحوا يفتشون المنطقة المحيطة بالبوّابة ، واقترب أحدهم من الجدار الذى يختفى خلفه (ممدوح) ، فبرز له (ممدوح) من وراء الجدار بغتة ، وكال له لكمة كالقنبلة ، أعقبها بأخرى ساحقة ، ثم جذبه إليه خلف الجدار ، وانتزع سلاحه ، ثم انتزع من حقيبته بخاخة المخدّر ، وغمر وجه الرجل برذاذها ، وأسرع ينزع عنه ثيابه ، ويرتديها ، ويخفى وجهه بتلك الخوذة البلاستيكية ، التى يرتديها الحرّاس ، وأخفى حقيبته الجلدية داخل سترته ، ثم اندفع يلبّى نداء قائد الحرّاس ، وهو يدعو رجاله للعودة ، واستغلّ الظلام والخوذة ، وحنق الحرّاس من ذلك الإزعاج المتكرّر ، ليدلف إلى المكان ، دون أن يتبيّن أحدهم حقيقته.

وأُغلِقت البوّابة خلفه ، واتجه كل حارس إلى موقعه ، وراح هو يتطلّع فى ارتياح إلى ذلك المصنع ، الذى أصبح أمامه تمامًا ، على الرغم من كل الخطر المحيط به من كل جانب ..

المشكلة التى واجهته فى هذه اللحظة هى أنه يجهل موقع

الحارس الذى يحتلّ مكانه . ولكن أحد الحرّاس الآخرين أنهى تلك المشكلة ، عندما هتف به :

ـــ (متياس) .. ماذا بك ؟ .. اذهب إلى الداخل .. تعالَ .

لم ينبس (ممدوح) ببنتِ شفَة ، وإنما اتجه إلى الحارس ، الذى أخرج من جيبه بطاقة معدنية صغيرة ، دسَّها فى تجويف خاصّ ، يجاور الباب الفولاذى للمصنع ، فانكشفت فجوة تكفى لمرور رجل واحد ، فعبرها الحارس ، وعادت تُغلق من خلفه ، فتردَّد (ممدوح) لحظة ثم بحث فى جيب سترة الحارس التى يرتديها ، حتى عثر على بطاقة معدنية مماثلة ، استخدمها على النحو نفسه ، فانكشفت الفجوة ، وعبَرَها ، وأُغْلِقت من خلفه ، وراح يسير عَبْرَ ممرّ طويل إلى باب زجاجى ، نفذ منه الحارس إلى سُلَّم معدنىّ طويل ، يهبط إلى قاعة سفليّة ، حيث كان عدد من الفنيين والعمال يعملون فى دأب كخليّة نحل ، فاتخذ الحارس موقعه فوق السُّلَّم ، وعقد ساعديه أمام صدره ، يراقب العمل فى أسفل ، وناداه قائلًا :

ـــ (متياس) .. ماذا تفعل عندك ؟

وعندما لم يسمع جوابًا ، التفت إلى حيث يقف (ممدوح) ، على بعد خطوتين منه ، وهتف فى ذهول :

ـــ ولكنك لست (متياس) !!

أجابه (ممدوح) :

ـــ بالطبع .. أنا (ممدوح عبد الوهاب) ، من المكتب رقم (١٩) .

ثم هوَى على فكّ الحارس بكعب بندقيته ، على نحو فنّىّ ، أفقده الوَعْىَ على الفور ، وانحنى يستقبل الحارس على كتفه فى سرعة ، ثم أجلسه أرضًا فى ركن بعيد ، وأسند رأسه إلى الجدار ، ورشَّ على أنفه بعض الرَّذاذ المخدِّر أيضًا ، ثم اتخذ مكان الحارس فى أعلى السُّلَّم ، واستبدل ساعته بأخرى من حقيبته ، وراح يضغط زرَّها فى سرعة واهتمام ..

ولم تكن هذه الساعة الثانية ـــ فى الواقع ـــ سوى آلة تصوير بالغة الدِّقة ، تصوِّر كل ما يراه (ممدوح) ، الذى راح يتنقَّل بين آلات التعبئة بأنواعها المختلفة ، وصناديق الشحن التى تحمل كلمة (مبيدات حشرية) ، والمعدَّة للتصدير إلى (أسترتان) ، وهو يلتقط صور كل شىء ، حتى ارتفع صوت صارم يقول :

ـــ ماذا تفعل هنا ؟

وجمدت الدماء فى عروق (ممدوح) ...

لقد بدأت المعركة ..

* * *

١١ ـ اسمى (ممدوح عبد الوهاب) ..

كان صاحب الصوت هو رئيس ورديّة العمال ، المكلَّفة تعبئة قنابل الغاز ، ولقد كرَّر فى غضب :

ـ ماذا تفعل هنا يا حارس الأمن ؟

التفت إليه (ممدوح) فى ثبات ، وهو يقول : .

ـ إنها حالة طوارئ .. إننى مكلَّف تفقُّد أقسام المصنع المختلفة .

تمعَّن رئيس الورديّة فى وجهه ، وهو يقول :

ـ ولكن من أنت ؟.. إننى لم ألتق بك من قبل !

لم يتخلَّ (ممدوح) عن ثباته ، وهو يقول :

ـ إننى هنا منذ أمس فقط .

ظلَّ الرجل يتطلَّع إليه فى شكٍّ وريبة ، فحسم (ممدوح) الأمر قائلًا :

ـ هيّا .. لا تعطِّلنى .. واصل عملك ودعْنى أباشر عملى .

واستدار وترك الرجل واقفًا ، وفتح أحد الأبواب الجانبية ، وانتقل عَبْره إلى قسم آخر من أقسام المصنع ، حيث معامل الكيمياويات ، وراح يلتقط صور الفنيِّين ، الذين انهمكوا فى إعداد تركيبات الدمار المختلفة ..

لم يَعُد لديه أدنى شكٍّ فى أنه هناك تعاون وثيق بين (جولويس) (والأسترتانيين) ، إذ كان يوجد بين الفنيِّين خبراء كيميائيون (أسترتانيون) سبق له أن اطَّلع على صورهم فى أرشيف الإدارة ، وحفظ وجوههم عن ظهر قلب ، قبل أن يبدأ مهمَّته ، ووجودهم فى معامل (جولويس) يُعَدّ أحد أدلَّة تورُّط (الأسترتانيين) فى لُعبة الرُّعب السِّرِّيَّة هذه ، من بدايتها إلى نهايتها ؛ إذ أن معظم هؤلاء الخبراء معروفون للدوائر العلمية ، ولا أحد يمكنه التشكيك فى حقيقة انتمائهم ..

وانتقل (ممدوح) إلى حجرة فى الطابق السفلىّ ، ولكنه لم يجد فيها ما يستحق ، وحاول أن يفتح باب حجرة أخرى ، ولكنه وجدها مغلقة ، فتلفَّت حوله ؛ ليتأكَّد من أن أحدًا لا يراه ، ثم تناول آلة صغيرة من حقيبته ، وحاول أن يعالج بها رتاج الباب دون جدوى ، ودون أن ينتبه إلى أن اللوح الزجاجى الذى يتوسَّط الجدار المجاور للباب ، هو فى الحقيقة

نوع من الزجاج نصف العاكس ، الذى ينقل لمن بالحجرة ما يدور خارجها ، دون أن يرى من بالخارج شيئًا من داخلها .. وخلف هذا الزجاج نصف العاكس ، كان هناك من يراقب محاولات (ممدوح) لاقتحام الحجرة ..

وفجأة .. انفتح الباب ، وجذبت يدٌ قوية (ممدوح) إلى داخل الحجرة ، ودفعته يدٌ أقوى من الخلف ، وهوت عصا خشبية غليظة على رأسه ، فسقط أرضًا ، ورأى نفسه فى مواجهة شخصين ضخمى الجثة ، أشبه بالمصارعين ، وفى يد كل منهما عصا غليظة من نفس النوع ، وكان أحدهما يبتسم ابتسامة وحشية ، تزيد من بشاعة خِلقته ، وهو يقول :

ــ محاولة فاشلة أيها المتطفّل ، فلو أن لديك خبرة حقيقية بنظام الأمن هنا ، لعرفت أن الغرفة لا تُفتح إلا بشفرة خاصّة .

قال الآخر وهو يضرب العصا على راحة يده ضربات متتالية :

ــ هيّا .. أخبرنى بسرعة .. من أنت ؟

اختلس (ممدوح) النظر إلى بندقيّته الآليّة ، التى سقطت على قيد خطوات منه ، عندما سقط أرضًا ، ولكن أحد الرجلين أدرك مغزى نظرته ، فدفع البندقية بقدمه بعيدًا ، ثم مال نحو (ممدوح) ، قائلًا فى شراسة :

ــ اسمع يا رجل .. إننى وزميلى متخصّصان فى تهشيم عظام المتطفّلين أمثالك .. فهل ستجيب عن أسئلتنا أم نبدأ فى تقديم أنفسنا لك ؟

لمح (ممدوح) على يساره صوانًا معدنيًا ، مكوّنًا من عدة أدراج بعضها فوق البعض ، وقد برز اثنان منهما إلى الخارج ، فهمس فى صوت بالغ الخفوت :

ــ اسمى (ممدوح عبد الوهاب) .

زاد الرجل من ميله نحوه ، وهو يقول فى غلظة :

ــ ماذا تقول ؟.. لست أسمعك !

أشار (ممدوح) إلى قصبته الهوائية ، وهو يدير وجهه يسارًا ، كأنّما يُشير إلى إصابة ما فى حلقه ، تمنعه من التحدُّث ، فأدنى الرجل أذنه من فم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ حسنًا .. كلّى آذان صاغية ، تحدّث .

قال (ممدوح) فى لهجة أقرب إلى السخرية ، وإن بدا صوته شديد الخفوت :

ــ اسمى (ممدوح عبد الوهاب) ، ولقد جئت للكشف عمّا يدور داخل هذا المكان .

قال عبارته ، وانتزع أحد الأدراج المعدنية من مكانه فى

قوة ، وهوَى به على وجه الرجل ، الذى انتفض فى عنف ، فهوى (ممدوح) على ساقه بركلة مؤلمة أسقطته أرضًا ..

واندفع الآخر نحو (ممدوح) ، الذى يدرك جيِّدًا أهمِّيَّة سُرْعة الحركة ، واستغلال المواقف ، فالتقط العصا الغليظة ، التى سقطت من خصمه ، وهوَى بها على فكّ الآخر بضربة كالقنبلة فتراجع مطلقًا صرخة مُدوِّية ، وقفز (ممدوح) يلتقط البندقية الآلية ، وهو يتراجع مصوِّبًا فوّهتها إلى الرجلين قائلًا :

ــ والآن يا كاسرى العظام ، إننى أجيد إطلاق النيران على الرءوس مباشرةً .. فهل ستنفذان ما آمركما به ، أم أبدأ فى تقديم نفسى إليكما ؟

تطلّع إليه الرجلان فى ذُعر ، دون أن ينبس أحدهما ببنتِ شفة ، فابتسم مستطردًا :

ــ حسنًا .. السكوت علامة الرضا .

وألقى إلى أحد الرجلين بخاخة المخدِّر ، مردفًا :

ــ هيَّا .. دَعْ رفيقك يستنشق هذا العطر .

تردَّد الرجل لحظات ، وأبعد زميله رأسه فى خوف ، فأضاف (ممدوح) :

ــ لا داعى للخوف ، فهو مخدِّر فحسب ، سيؤمِّن لكما

بعض النوم الهادئ لساعات ، تستريحان خلالها من عناء العمل ، وتنعمان بالأحلام الجميلة ، وأجد أنا مهلة كافية لأؤدِّى عملى ، فإن لم ترغبا فى النوم لبعض الوقت ، سأمنحكما نومًا أبديًّا .

لم يكد ينطق عبارته الأخيرة ، ويقرنها بجذب إبرة بندقيته ، حتى أسرع الرجل الممسك بالبخّاخة يطلق الرَّذاذ المخدِّر فى وجه زميله ، الذى هوَى فاقد الوعى ، فابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ هيَّا .. كرِّر العمل مع نفسك .

نقَّل الرجل بصره بين زميله الفاقد الوعى ، والبخّاخة ، وقد عاوده التردُّد ، إلَّا أن نظرة إلى عينى (ممدوح) الصارمتين حسمت تردُّده هذه المرَّة ، فأطلق الرَّذاذ فى وجه نفسه ، وهوَى إلى جوار رفيقه فاقد الوعْى بدوْره ، فتنهَّد (ممدوح) فى ارتياح ، قائلًا :

ــ والآن .. لنرَ ما الذى تحتويه تلك الأدراج .

راح يفتح الأدراج ، ويتفحَّص محتوياتها فى سرعة ودقَّة ، حتى توقَّف أمام مجموعة من الأوراق والملفات ، راح يقلِّبها فى اهتمام ، ووجد أنها تحتوى تفاصيل خُطَّة التعاون بين مصنع

(جولويس) والمخابرات (الأسترتانية) ، فى عملية تصنيع وإنتاج الأسلحة الكيميائية ، كما تحتوى على أسماء بعض المتورطين فى هذه العملية ، من مسئولى حكومة (جولايا) ، ومواعيد الشحن القادمة ..

والتقط (ممدوح) صور كل هذه المستندات ، ثم أغلق الأدراج ، وأسرع يغادر الحجرة ، ويتحرك فى خطوات عاجلة عبر الممر الطويل ، الذى يضمُّ المعامل الكيميائية ، إلى عنبر آلات تعبئة الغاز ، وراح يصعد السُّلَّم المعدنىّ .. ولكنه لم يكد يصعد عِدَّة درجات ، حتى ارتفع صوت رئيس ورديَّة العمال ، وهو يهتف به :

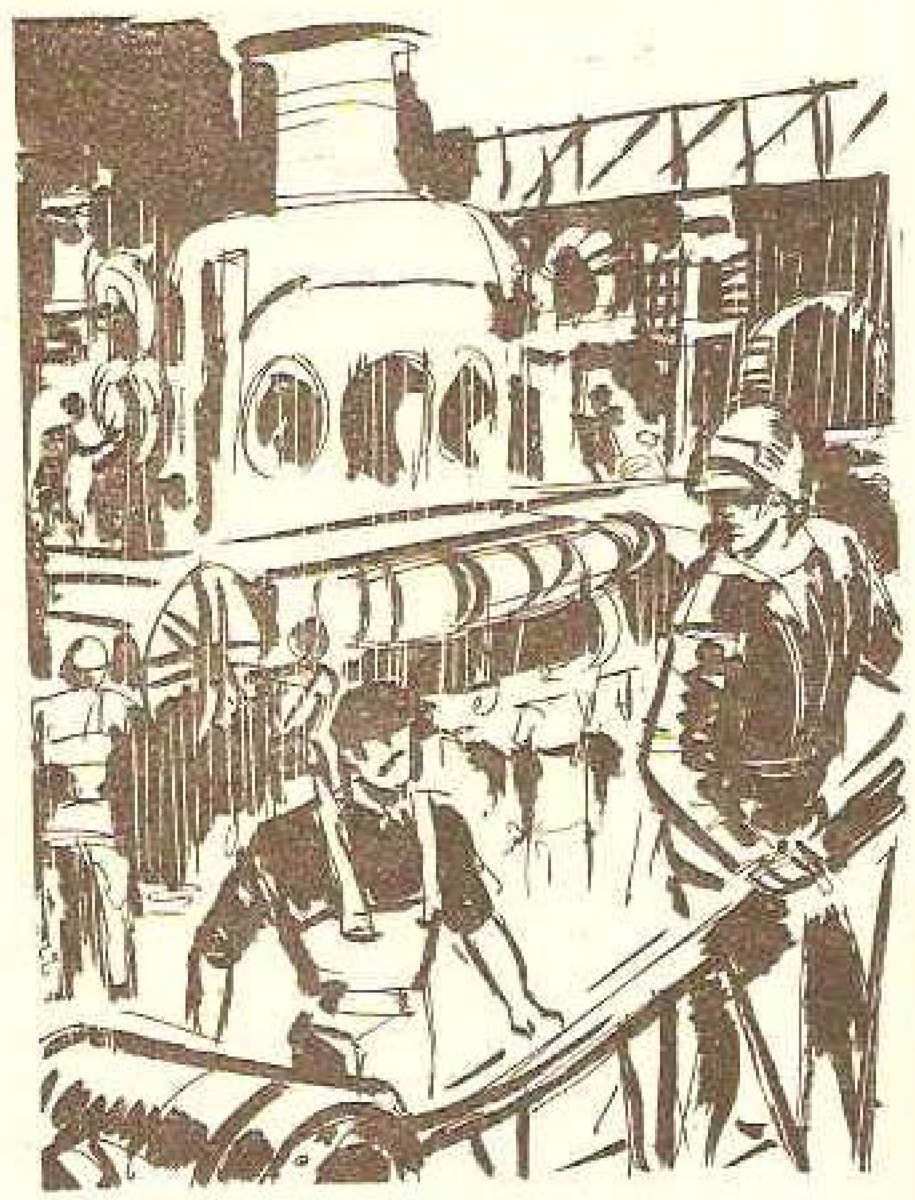
ــ قفْ .

توقَّف (ممدوح) فى مكانه ، وتطلَّع إلى رئيس العمال ، الذى اقترب منه ، قائلًا فى حِدَّة :

ــ لقد سألت الإدارة ، فأخبرولى أنه لم يأتِ أى حارس جديد كما ادَّعيْت .. من أنت إذن ، وكيف استطعت الدخول إلى هنا ؟

ارتفع فجأة صوت صارم حازم يقول :

ــ دَعْ لنا هذا الأمر يا (فرناندو) .



توقَّف (ممدوح) فى مكانه ، وتطلَّع إلى رئيس العمال ، الذى اقترب منه ..

أدار (ممدوح) عينيه فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى ما جعل قلبه يخفق فى عنف ..

لقد كان هناك عدد من رجال الحراسة ، يصوّبون إليه أسلحتهم ..

وكان ملك الموت يبتسم متشفّيًا ..

* * *



١٢ ــ بؤرة الجحيم ..

حاول (ممدوح) أن يلتقط بندقيّته ، وأن يقاتل ، ولكنه رأى حارسين آخرين يهبطان السُّلّم المعدنى نحوه ، وقد شهرا سلاحيهما ، فقفز من السُّلّم إلى الأرض ، والتقط بندقيته ، وراح يُطلق رصاصاتها فى اتجاه الحرّاس ، ثم راح يتدحرج أرضًا وسط الطلقات ، فى حركة بهلوانية معقّدة ، قبل أن يختفى خلف إحدى آلات المصنع ..

وعمّت الفوضى بين العمال والفنيين ، والحراس يندفعون نحو مخبأ (ممدوح) ، ويطلقون النيران عليه ، قبل أن يصيح قائد الحرّاس :

ــ من الأفضل لك أن تستسلم ، فلا أمل لك فى الفرار من هنا .

جاءه رد (ممدوح) سريعًا حاسمًا ، إذ أطلق رصاص بندقيته نحو ثلاث من قنابل الغاز المعَدّة للشحن ، فانفجرت ، وتصاعدت منها الغازات السامّة ، وراحت تنتشر فى العنبر ، فتراجع العاملون والحرّاس فى ذُعر ، وصاح أحد الفنيّين :

ـــ أحضروا الأقنعة الواقية ، وضعوها على وجوهكم ، وإلّا هلكنا جميعًا .

تضاعف الاضطراب والفوضى داخل العنبر ، فى حين ظلّ (ممدوح) محتفظًا برباطة جأشه ، وهو يلتقط من حقيبته قناعًا شفّافًا ، ثبّته برباط مطّاطىّ حول رأسه ، يمنع تسرُّب الغاز إلى أنفاسه ، ثم اندفع يُطلق النار فى كل الاتجاهات ، وهو يشقّ طريقه إلى الممرّ المؤدّى إلى المعامل الكيميائية ، معتمدًا على حالة الفوضى التى سادت المكان ، بعد انفجار قنابل الغاز الثلاث ، وانهماك كل فرد فى البحث عن قناع واقٍ ..

وبينما كان يشقّ طريقه ، وجد أمامه حارسًا مسلّحًا ، أطلق عليه النار ، ولكن (ممدوح) تجنّب رصاصته باختراق أحد جدران المعامل الزجاجية ، غير عابئ بالشظايا التى تناثرت حوله ، ولقد كان المعمل خاليًا ، وبه صوان زجاجى ، يحوى عددًا من قنابل الدُّخان ..

وقفز (ممدوح) نحو الصّوان الزجاجى ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها حارسان ، صوّبا إليه أسلحتهما ، عَبْر الزجاج المهشّم ، وأطلقا النار .. فوثب (ممدوح) خلف إحدى موائد المعمل ، يحتمى بها ، وتطايرت أنابيب الاختبار والقوارير

المهشّمة فوق رأسه ، فقفز من مكانه ، وأطلق النار على الحارسين ، فأرْدَى أحدهما قتيلًا ، فى حين راح الآخر يُطلق النار على نحو هستيرى ، فحطّمت قنينات المواد الكيمياوية ، وسالت فى كل مكان ، على حين أقبل عدد آخر من الحرّاس ، وحاولوا اقتحام المعمل ..

وراح (ممدوح) يزحف خلف موائد المعمل ، حتى بلغ ذلك الصّوان الزجاجى ، ففتح بابه فى حَذَر ، وحاول أن يلتقط بعض قنابل الدُّخان ، ولكن سيلًا من الرصاصات انهمر على الصّوان ، فأعاد يده فى سرعة ، وشعر بالحَنَق والعجز ، إلّا أنه لم يلبث أن لمح لوحة معدنية ، ملصقة أسفل الصّوان الزجاجى ، وقد كُتب عليها بالأسبانية :

ــ « نقطة عبور للطوارئ » ..

وانهمرت الرصاصات على رأسه مرّة أخرى ، فانحنى متفاديًا إيّاها ، وهو يتساءل عما تعنيه العبارة !!..

ولكن الرصاصات حطّمت الزجاج ، وألقت إحدى قنابل الدُّخان بين يديه ، فتحرّك بسرعة بديهة يُحسد عليها ، وانتزع فتيل القنبلة ، وألقاها نحو خصومه ، فانفجرت مطلقة دُخانًا كثيفًا حجبه عن الرؤية أمام خصومه ، الذين لم يتوقّفوا عن

إطلاق النار ، وإن تشتّت رصاصاتهم فى كل الاتجاهات ..
فاستغلّ (ممدوح) الفرصة ، وتناول سكّينة من غمْد مثبّت حول ساقه ، ودفعه بين اللوحة المعدنية والجدار ، وجذب اللوحة فى قوّة ، فانتزعها من مكانها ، وانكشفت خلفها فجوة ممتدّة ، تسمح بمرور شخص واحد زحفًا ..

ولم يتردّد (ممدوح) ، فلم يكن لديه خيار آخر ، فاحتضن بندقيته ، ودلف إلى الفجوة راقدًا على ظهره ، ووجد نفسه ينزلق فى سرعة ، داخل أسطوانة معدنية ، وشعر فى ظهره بحرارة شديدة من أثر الانزلاق داخل الأسطوانة ، حتى وجد نفسه يسقط فجأة وسط كُومة من القش ، داخل حوض كبير لأحد الإصطبلات القديمة ..

ولم يصدّق نفسه فى البداية .. لقد نجا من بؤرة الجحيم ..

وبسرعة نفض عن ذهنه فكرة النجاة ؛ لأنه لم يكن يعلم أين هبط بالضبط .. أما زال داخل حدود منطقة (جولويس) الخاصة ، أم خارجها ؟.

ثم إنه مادام قد وجد ممرّ الطوارئ ، فهم سيعلمون حتمًا أين ذهب ، وسيعرفون كيف يجدونه ، وكيف وأين يعثرون عليه ؛ لذا فمن المحتّم ألا يقف ساكنًا ، أو حتى يلتقط أنفاسه ، قبل أن يتأكّد من أنه قد غادر الجحيم إلى الأبد .

وقفز (ممدوح) خارج الحوض ، وأسرع يفتح باب الإصطبل الخشبىّ ، حيث وجد نفسه على بعد أمتار من بوّابة أحد مصانع المبيدات ، ولكنا وقبل أن يتحرّك نحو البوّابة ، برز له بغتة عشرة رجال مسلحين ، مع مجموعة من الكلاب المتوحشة ، و .....

و (الجلّاد) ..

كان يقف وكتفه محاطة بأربطة من الشاش ، من جرّاء إصابته السابقة ، ويده الأخرى ممسكة بطوق أشدّ الكلاب شراسة ووحشية ..

وكان يبتسم قائلًا فى تشفّ :

ـ هانحن أولاء نلتقى من جديد أيها المقدّم .

وانطلقت ضحكته الساخرة تشقّ المكان ...

* * *



١٣ ــ المطاردة ..

ألقى (ممدوح) بندقيته أرضا ، وهو يتطلع إلى (الجلاد) ، قائلا :

ــ أعترف بأننى غير سعيد على الإطلاق بهذا اللقاء .

أرخى (الجلاد) قبضته عن طوق الكلب ، فراح يثب ويزمجر فى وحشيّة ، وقد برزت مخالبه وأنيابه الحادّة ، وكأنه يهمّ بالانقضاض على (ممدوح) ، و (الجلاد) يقترب منه ، قائلا :

ــ إننى أحتفظ بهذا التذكار المؤلم بسببك .. ما رأيك لو منحتك تذكارًا أشدّ إيلامًا ؟

أأطلق هذا الوحش نحوك ، يمزّق جسدك ، أم أنك تفضّل رصاصة فى ساقك ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تصاعد أزيز هليوكوبتر تحلّق فى السماء ، فقال (الجلاد) :

ــ يبدو أنك محظوظ ، فهناك من يسعى لمقابلتك والتحدّث إليك أوّلا ، قبل أن أبدأ فى تأديبك ، وسيجعلنى هذا أؤجّل عمليّة التذكارات قليلا .

هبطت الهليوكوبتر لتستقر فوق بقعة مخصّصة لهبوطها بين المصانع ، وهبط منها رجل قصير نحيل ، يناهز الستين من العمر ، يرتدى منظارًا طبيًا ، ويدخن سيجارًا فاخرًا ، وعلى الرغم من سنوات عمره المتقدمة ، كان يقترب من (ممدوح) فى خطوات نشطة سريعة ، وحوله عدد من الأشخاص ، وقال (الجلاد) ، وهو يقدّم الرجل لـ (ممدوح) :

ــ سنيور (جولويس) ، الذى اقتحمت أرضه ومصانعه دون استئذان .

وسحب (جولويس) نفسًا عميقًا من سيجاره ، ثم أطلق سحابة كثيفة من الدُّخان فى وجه (ممدوح) ، وهو يتأمّله فى إمعان ، ثم قال :

ــ يقولون إنك أحد أبطال أجهزة الأمن المصرية .. أظنك تنتمى إلى إدارة يطلقون عليها اسم .. اسم .....

قال (الجلاد) :

ــ إدارة العمليات الخاصّة .

عاد (جولويس) يتطلّع إلى (ممدوح) ، قائلا بابتسامة مصطنعة :

ــ آه .. إدارة العمليات الخاصّة .. مرحبًا بك فوق

أرضى على أية حال . لا ريب أن صديقى (الجلّاد) قد أساء استقبالك ، فهو يفتقر أحيانًا إلى اللياقة .

أجابه (ممدوح) بنفس السخرية :

ــ على العكس .. لقد كان ينوى تقديم أحد تذكاراته لى منذ قليل .

أطلق (جولويس) ضحكة عالية، وهو يرمق (الجلّاد) بنظرة جانبية، قائلًا :

ــ إننى أعرف نوعية تذكاراته ، ولست أظنك ترغب فى الحصول على أحدها .

وتحوّلت لهجته إلى الجديّة بغتة ، وهو يستطرد فى حزم :

ــ أظن اللُعبة التى جئت من أجلها قد انتهت ، ولم تعد لها فائدة .. إننى أعلم لِمَ أرسلوك ، ولكنك رجل واقعىّ، وستقبل الهزيمة بصدر رحب .. أليس كذلك ؟

ممدوح :

ــ وما الذى تطلبه منّى ؟

جولويس :

ــ لقد تسلّلت إلى مصنعى السرّىّ من أجل العودة ببعض الأسرار والصور، داخل آلة تصوير دقيقة ، ويمكننى بالطبع

أن أجعل صديقى (الجلّاد) ورجاله يشرحونك للبحث عن آلة التصوير هذه ، وأظن أنه من الأفضل أن تقدّمها لى أنت بنفسك .

ممدوح :

ــ ومن أدراك أننى أحتفظ بها معى ؟

جولويس :

ــ لقد حذّرتك .. ولتعلم أننى على عكس صديقى (الجلّاد) ، لا أميل إلى القسوة .

ممدوح :

ــ وما الذى سأحصل عليه ، بعد أن أمنحك ما تطلبه ؟

أجابه (جولويس) فى دهشة مصطنعة :

ــ سنتركك ترحل طبعًا ، إلّا إذا فضّلت البقاء فى ضيافتنا .

ممدوح :

ــ أظن مغادرة هذا المكان فورًا هى أفضل اختيار .

جولويس :

ــ كما تحب .. الأبواب مفتوحة أمامك .

ممدوح :

ــ حسنًا .. يبدو أنه لا مناص من الاعتراف بالهزيمة ..

سأعتمد على كلمتك ، وأمنحك آلة التصوير ، ثم أنصرف .

قال ذلك وهو يمدّ يده إلى جيبه ، فهتف (الجلّاد) ، وهو يصوّب إليه مسدّسه :

ـــ أبعد يدك وإلّا أطلقت عليك الرصاص .

قال (ممدوح) فى استخفاف :

ـــ ألا ترغبون فى الحصول على آلة التصوير ؟

وضع (جولويس) يده على يد (الجلّاد) ، وخفض مسدّسه ، قائلًا :

ـــ ليس هناك مايدعو إلى العنف ، إنه يبدو متعقّلًا مطيعًا .

ابتسم (ممدوح) ، وأخرج من جيبه آلة تصوير دقيقة ، فى حجم قدّاحة ، قدّمها إلى (جولويس) ، الذى ناولها إلى أحد رجاله ، ففحصها فى دقّة ، وانتزع الميكروفيلم من داخلها ، ثم أعادها إلى (جولويس) ، الذى قلّبها بين يديه فى ظفر ، ثم قال لـ(ممدوح) :

ـــ حسنًا .. يمكنك أن ترحل .

نقّل (ممدوح) بصره بين وجوه الرجال ، ووجهى (الجلّاد) و (جولويس) ، والكلاب المتوحشة ، ثم انطلق نحو

البوّابة فى سرعة ، وعبَرها كالبرق ، فهتف (الجلّاد) فى حَنَق غاضب :

ـــ لِمَ لَمْ تتركنا ننهى الأمر كله ؟

قال (جولويس) فى صرامة :

ـــ أيها الغبىّ .. لست بحاجة إلى المزيد من الشبهات ، حول مصانعى .. فهناك جهات عديدة تعرف وجود هذا الرجل فى (جولايا) ، ويعرفون أنه يتجه إلى هنا ، ولكننى لن أمانع فى التخلّص منه بعيدًا عن أرضى .. إنه فى طريقه إلى الأحراش الآن ، وأنت لديك رجالك وكلابك المدرّبة ، أطلقها خلفه ، فأنا أعتمد عليك فى القضاء عليه نهائيًا .

ارتسمت على شفتى الجلّاد ابتسامة وحشية ، وهو يقول :

ـــ اطمئن ياسيور (جولويس) .. لن يتبقّى منه مايكفى لتعرّفه .

هتف (جولويس) :

ـــ لا أيها الغبىّ ، من الضرورىّ أن يتبقّى منه مايكفى لتعرّفه ، بحيث يبدو الأمر كحادث أمام رجال الشرطة .. فرجل الأعمال المصرىّ (ياسر زيدان) تصرّف فى حماقة ، وأراد أن يستكشف الأحراش المجهولة ، فهاجمه قُطّاع الطرق ، والحيوانات الضالة ، وقضَوْا عليه .

وأطلق ضحكة عالية ، قبل أن يستطرد :

ـــ هكذا أريد أن يبدوَ الأمر .

* * *

لم يكن (ممدوح) من الغباء بحيث يجهل حقيقة نوايا الرجل ، فقد كان يدرك جيدًا أن لُعبة إطلاق سراحه تهدف إلى قتله فى الواقع ، والتخلُّص منه بعيدًا عن أرض (جولويس) ومصانعه ، وأن (الجلّاد) وزبانيته سينطلقون فى أثره على الفور ، وهم واثقون من القضاء عليه حتمًا ، فأطلق ساقيه للرياح ، وراح يركض بأقصى سرعة نحو البقعة التى ينتظره فيها (سانشيز) ورجاله ، وهو يحمد الله ؛ لأنه أعدَّ عُدَّته ، وأن حيلته قد انطلت على (جولويس) ، فحصل على آلة التصوير الزائفة ، ولم ينتبه إلى أن (ممدوح) يحمل آلة تصوير أخرى ، التقط بها الصور ، وهى تلك التى يحتفظ بها فى ساعته ..

وبالفعل ، ارتفع خلفه نباح الكلاب ، فزاد من سرعته ، وهو يصعد الهضبة المرتفعة ، المطلَّة على المصنع ..

وفجأة .. انهالت عليه الرصاصات ، واخترقت ساقه اليسرى رصاصة ، وكاد يهوى من فوق الهضبة ، ولكنه حافظ على توازنه وتغلَّب على آلامه ، ورأى الكلاب المتوحشة تصعد

خلفه ، فاستلَّ سكّينه ، وطعن بها أقرب الكلاب إليه ، قبل أن تنغرس أنيابه فى عنقه بلحظة واحدة ، ولكن الكلاب الأخرى اندفعت نحوه فى شراسة ، وهى تُبرز مخالبها وأنيابها ..

وبدا لـ (ممدوح) أنه قد قضى نحبه ولا ريب ، فإمّا أن يلقى مصرعه بأنياب الكلاب المتوحشة ، أو برصاصات أعدائه ..

وفجأة .. انطلقت الرصاصات من فوق الهضبة ، وأردت معظم الكلاب قتيلة ، على حين تراجعت الكلاب الأخرى مذعورة ..

لقد بدأ (سانشيز) ورجاله هجومهم ، وانطلقت رصاصاتهم على (الجلّاد) ورجاله ، لتشتيت انتباههم ، حتى تمكَّن (ممدوح) من الصُّعود إلى أعلى ، فأشار إليه (سانشيز) ، هاتفًا :

ـــ لم أتصوَّر أبدًا أنك ستعود .. هل نواصل القتال ؟

ممدوح :

ـــ بل دعْنا نسرع بالفرار عَبْرَ النفق ، فهم لم يتوقَّعوا وجودكم هنا ، ولن يلبث (جولويس) أن يدفع بالمزيد من رجاله المسلحين ، لتعزيز فرقة المطاردة ، خاصَّة وهو يعلم أن قتلكم سيجعله بطلًا فى رأى المسئولين هذه المرَّة .



فاستلّ سكّينه ، وطعن بها أقرب الكلاب إليه ، قبل أن تنغرس أنيابه فى عنقه بلحظة واحدة ..

هتف (سانشيز) فى رجاله :

ــ حسنًا .. غطّوا انسحابنا يا رجال .

اندفع (ممدوح) و (سانشيز) عَبْرَ النفق ، إلى الجهة الأخرى ، وهتف (سانشيز) :

ــ هل نجحت فى مهمّتك ؟

ممدوح :

ــ نعم .. لقد عدت بحصيلة جيّدة .

سانشيز :

ــ من المؤسف أن نضطر للافتراق ، بعد أن نبلغ نهاية النفق ، فأنت من الرجال القلائل ، الذين أقدّرهم تمامًا .

ممدوح :

ــ هذا نفس شعورى بالنسبة لك ، فلن أنسى أبدًا مساعدتك أنت ورجالك لى .

سانشيز :

ــ أتحبُّ أن نؤمّن لك الطريق إلى المطار ؟

ممدوح :

ــ لا .. لقد أعْدَدْت الأمر لذلك ، فالمطار لن يكون مأمونًا لى الآن ، وهناك خُطّة خاصّة للفرار عبْر حدود (كولومبيا) ، ومن هناك سأستقلّ الطائرة إلى (القاهرة) .

لم يكد الرجلان يجتازان النفق ، حتى ربَّت (سانشيز) على كتف (ممدوح) ، وقال :

ـ خذ حذرك جيدًا . أتمنى لك السلامة ، كما أتمنى أن نلتقى مرّة أخرى .

تصافحا فى حرارة ..

وافترقا ..

* * *

بعد أسبوع واحد من عودة (ممدوح) إلى (القاهرة) ، كانت أخبار الفضيحة الدولية تملأ صفحات الصحف ، وتحتل مقدمة النشرات العالمية ، وبدأ المجتمع الدولىّ يتخذ التدابير اللازمة ، لمعاقبة (أسترتان) ، وتوقيع العقوبات ضدها ، كما أغلقت مصانع (جولويس) ، وتم اعتقاله قبل أن يفرّ عبْر الحدود ، لتعاونه مع دولة أجنبية ، وتصنيع أسلحة كيميائية محظورة ، كما أدى إعلان الخبر إلى قيام ثورة فى (جولايا) ، تسبَّبت فى خلع نظام حكمها الديكتاتورى ، ومحاكمة عشرات المسئولين ، وإعلان قيام حكومة ديمقراطية ، أصدرت عفوًا شاملًا عن رجال المقاومة السرّيّة ، وقررت معاملتهم معاملة الأبطال .

وجلس (ممدوح) يشاهد على شاشة التلفاز مؤتمرًا صحفيًا ، أقامه (سانشيز) فى (جولايا) ، باعتباره قائد حركة المقاومة السرّية ، ضد نظام الحكم السابق ، ورآه (ممدوح) يتحدث عن أسرار مصنع (جولويس) السرّى ، وقصة مصرع شقيقه على أيدى زبانية الحرب الكيميائية ، ثم يستطرد :

ـ ولا يفوتنى هنا أن أشير إلى بطولة ذلك الرجل المجهول ، الذى كان له الفضل الأعظم فيما حدث ، وفى إنقاذ أرواح بريئة من تلك السموم القاتلة ، التى كان يعدها (جولويس) و (الأسترتانيون) على أرضنا .. ولولا أننى وعدت ذلك البطل بكتمان اسمه ، وعدم الكشف عن تفاصيل دوْره ، لطلبت منكم توجيه دعوة رسميَّة إليه ، لتكريمه ، والاحتفال به هنا ، تقديرًا لدوْره العظيم وخدماته لشعبنا وشعوب العالم الحرّ .. ولكن مادمنا نعجز عن ذلك ، فلا أقل من أن نعلن تقديرنا لشجاعته ، وللدوْر الذى لعبه فى تاريخنا ، ونلوّح له بأيدينا وحبنا ، عسى أن يكون أحد مشاهدينا الآن .

قالها وراح يلوّح بيديه أمام آلات التصوير ، ووجهه يحمل

ابتسامة امتنان ، فشاركه الجميع التلويح والابتسام ، ثم تعالى تصفيقهم ، حتى أن (ممدوح) شعر بتأثر شديد ، إزاء ذلك المشهد ، فرفع يده ، ولوّح بها أمام الشاشة ، وهو يردُّ تحيتهم ..

ثم امتلأ قلبه بالارتياح ، وابتسم ..

ونام ملء جفنيه ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٦٢٠

المؤلف



أ. شريف شوقى

المصنع السِّرِّى

واستدار (ممدوح) فى حركة حادّة ، ليجد غريمه أمامه ، وقد رفع يده عاليًا ، وفى قبضته خنجر التمع نصله الحاد تحت أشعة الشمس

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

العدد القادم

الثعلب والأفعى

الثمن

وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم